ما العلاج ؟

رسالة انتقادية تتناول صفحة من تاريخ

العراق السياسي

بقلم

عبد الرزاق الحصان

ثمن النسخة نصف ربية

مطبعة دار السلام ـ بغداد

١٣٥٠ - ١٩٣١

ما العلاج ؟

رسالة انتقادية تتناول صفحة من تاريخ

العراق السياسي

بقلم

عبد الرزاق الحصان

مطبعة دار السلام ـ بغداد

١٩٣١ - ١٣٥٠

الى ارباب الضمائر الحية

الى الذين تهمهم القضية العربية

الى من يستفزه ذكرى الماضي ويستلذ بالمحن الحاضرة ويرشده الرجاء الى المستقبل .

اقدم رسالتي الاولى .

بغداد ٢ شعبان ١٣٤٩ عبد الرزاق الحساني

ما العـــــــلاج ؟[1]

— ١ —

ابتلى العراق بشر ما ابتليت به الشعوب واصيب شعبنا الكريم بشتى العلل الاجتماعية وانواع الامراض السياسية حتى اصبح من العسير ان تجده هادىء البال مطمئن القلب راضياً بأوضاعه الاجتماعية والسياسية .

اصيب الرأى العام بمرض اليأس من كل فئة تحـاول الاخذ بيده للنهوض ، واستولى عليه القنوط من كل جماعة تبسط اليه المواعيد لمناصرته وشد ازره مهما حاولت تلك الفئة اقناعه ومهما اجتهدت تلك الجماعة لتهدئة خواطره وتسكين اضطرابه ومداواة جروحه بالعمل الجدى المثمر !

بلغ اليأس بالرأى العام مبلغاً اصبح من العبث معه اغراؤه بالوعود الخلابة ومن الصعب محاولة التسلط عليه بالامال التى تكاد تكون مجسمة محسوسة ومن العسير ان يسلم قيادة اموره ومقاليد شؤونه لاى فئة من الفئات فهو حانق وهو غاضب وهو ساخط ولكنه فى الوقت نفسه يريد الحياة يريد السعادة يريد التقدم يريد مجاراة الامم الراقية فاذا كان كذلك ! فما العلاج ؟..

---

(١) نشر المقال الاول والثاني والثالث والرابع والخامس في جريدة (صدى العهد) ويليها مقالات متتابعات لم تنشر بعد

ان نظرة دقيقة لماضينا القريب تريك بوضوح سرعة انقلاب الرأى عن الفئات الحاكمة مهما كانت خططها وارساله وابل النقدات على الجماعات المستولية عليه مهما كانت مبادئها فهو لا يستكين ولا يستسلم ولا يكاد ينتهى من تهجماته على الاولى حتى يبدأ بالكلام القارص ضد الثانية وهكذا دواليك ولذلك تراه ابداً ودوماً جموحا شرساً ولكنك فى الوقت ذاته ترى نفسه الزكية تتطلب المعالى وروحه النبيلة تشتاق الى الوصول الى اعلى مراقى الفلاح .

برهنت الحوادث الماضية المؤسفة عن سرعة ازورار الرأى العام وعدم انقياده لفئة من الفئات الحاكمة ونفور الشعور العام من المواعيد الخلابة التى يملها عليه القادة والزعماء — كما يدعون — .

ان الروح الكامنة فى النفوس تستهدف غرضاً غير الغرض الذى يمشى نحوه متسلمو زمام الامور والمتسلطون على هذا الشعب المجروح بسيطرة لا تأتلف مع نفسيته وبقوة لا تستند على رأى صائب ومنطق سديد فاذا كان كذلك فما العلاج ؟ . .

ان من دواعى الاسف ومن لواعج الاسى ان نرى قوى هذه الروح الوثابة والنفس الابية والهمم الشماء التى اتصف بها الشعب العراقى النبيل تتصارع بلا جدوى وتتعارك مع بعضها من دون ثمرة طيبة حتى اصبح الخوف على تلك الكنوز الروحية الكامنة فى النفوس ان تبيد بعضها بعضاً وتذهب هذه الروح الطيبة هباء امام هذه وتلك وتمسى تلك القوى الكامنة بين ثنايا الضلوع من جراء احتكاك بعضها ببعض وشيكة

—●—

ان تقضي على نفسها فتذهب هباء . وهي كنز ثمين لمن يهمه مصير البلاد وذخر غال لمن ينظر الى المستقبل البعيد وسلاح قوى لمن كان فى قلبه ايمان وحمل بين اضلاعه العقيدة الخالصة وآلة قاهرة يستعملها من استنار بنبراس القومية الشريفة واسترشد بهدى أمته العربية ذات التاريخ المجيد ولكن نفور هذه القوى النبيلة من الفئات الحاكمة المعقودة واحدة بعد الاخرى يرينا ان هدف الرأى العام غير هدف المتظاهرين بخدمته وان غاية الشعب النبيل فى اماله هى غير الغاية التي يتبعها الذين قضت الاقدار بأن يمسكوا زمام الامور بيدهم

فاذا كان كذلك فما العلاج ؟..

تشكلت فى البلاد عدة احزاب واستولت على زمام الامور عدة حكومات وحاز لقب الاستاذ كثيرون من الاشخاص ونال رتبة الزعامة مئات الناس ، وانبرى للظهور امام الشعب بمظهر الاخلاص والوطنية والخدمة جوقات من الابطال الصناديد — حسب دعواهم — ولكننا لم نر بينهم من اتفق عليه الرأى كاتفاق الاحزاب الانكليزية على (بولدوين ولويد جورج ومكدونالد) ولم نسمع بأن دافع الضريبة رضى عن وزارة من الوزارات ولم نشاهد قارئين اتفقا على الاعتراف بمقدرة من سمى استاذاً ولم نشاهد الشعب قد اصغى الى اقوال زعيم من الزعماء باعتقاد ان ما يسديه من النصح والارشاد قد صدر عن ايمان فى قرله وعقيدة فى مبدئه وغاية شريفة عرفت من ماضيه . كما انا لم نر الجمهور ابداً قد آمن بما تتشدق به الجوقات الوطنية من الاناشيد المشجية والمحزنة

بل لم نر كل شيء الا الهزوء والسخرية والكلام القارص والانين الصادر من اعماق القلوب والحسرات المتصاعدة من الاكباد .

فاذا كان كذلك ! فما العلاج ؟..

تكاد تكون — وهي كذلك — الشقة بعيدة بين الرأى العام وبين من ذكرنا من الاناس وتكاد تكون — وهي كذلك — الصلة متباعدة بين الشعور العام وبين المتظاهرين بالاخلاص في خدمة الشعب وتكاد تكون — وهي كذلك — الرابطة غير متماسكة الاطراف بينما يشعر به الاهلون وبين الاجواق السياسية وتكاد تكون — وهي كذلك — الغايات مختلفات عند من يثقل عليه دفع الضريبة وعند من يعيش على اكتاف الغير منتحلا عدة اسماء لتبرير ذلك العيش وتكاد تكون — وهي كذلك وجهة آمال الطرفين متناقضة هذا ينظر بعين ملؤها الغضب وذاك ينظر بعين ملؤها الازورار والتمويه .

فاذا كان كذلك ! فما العلاج ؟..

ومن الغريب ان عدداً غير قليل من ابناء البلاد وافراداً ليسوا بيسيرين ممن تظلهم سماء تربتنا الطاهرة وعرفوا ببعد نظرهم ووفرة خبرتهم وسعة اطلاعهم يشعرون بواجبهم القومي ازاء هذه المآسي و يقدرون صعوبة الحال ووخامة المستقبل ما دامت حياتنا الاجتماعية على هذا المنوال ويوجسون خيفة من عواقبها الوخيمة ولكنهم مع علمهم هـــذا نراهم يحجمون عن ابداء رأيهم في ايجاد الدواء الشافي لهذه العلل المزمنة و يتهيبون مصادمة هذا التيار المتزي ونجدهم غير مسلحين بما الهمهم العلم واوحى

لهم الاختيار لايقاف هذا الخطر وازالة العوائق المهلكة من طريق الامة العراقية وتعبيد الطريق للسير بها نحو التقدم والنجاح وارشادها نحو الغاية الكمالية والمثل الاعلى والاخذ بيدها لكي تنال موقعها الممتاز ومحلها الرفيع ومركزها السامي بين الامم السامية ذات الشان العالي .

فاذا كان العلاج كذلك ا فما العلاج ؟ . .

— ٢ —

ذكرنا في مقالنا امس الفروق الكبيرة بين الشعب العراقي وقادته من الزعماء وان الشقة بعيدة بين الامة العراقية والهيئات الحاكمة المتعاقبة والمتعددة على اختلاف مناهجها وخططها .

وان بقاء الوضع الراهن كما هو من عدم التماسك والتعاضد والتساند بين الامـة والهيئات السياسية لمما ينذر بشر مستطير وخطر مدلهم يجب تداركه قبل ان يقع ما لا تحمد عقباه وان تستأصل شأفته قبل ان تحدث الكوارث الاليمة مما قـــد يعيد لنا الحوادث الدامية الماضية كما سطرها لنا التاريخ .

ان اول بادرة تبدو الى المترقب للحوادث السياسية منـذ تشكيل الدولة العراقية الفتية ان العلة الكبرى التي اوجدت الفوضى الاجتماعية والسياسية في العراق هي عدم وجود (التوازن السياسي) لدى المؤسسات الاهلية وبعبارة صريحة عدم (التوازن السياسي) لدى الاحزاب السياسية المختلفة ذات الشأن والتي اخذت على عهدتها ان تدير شؤون

البلاد وان تأخذ بسفينة الامة العراقية الى ساحل السلامة . برهنت لنا الحوادث ان الهيئات العراقية السياسية المتعددة قــــد بقيت بعيدة على الاستناد عن شعور قومى يدعمها ويناصرها ويؤيدها لـكى تقطع المراحل الوعرة ولـكى تجتاز السبل الخشنة وكى تتقدم فى مضمار العراك الامى وبالتالى تستطيع أن تجد المحل اللائق بالامة العراقية بين الامم ذات الشأن الرفيع .

ومن المعتاد ان يكون تشخيص المرض اسهل بكثير من وصف العلاج ويوجد اطباء كثيرون يدلون على عرق المرض ولـكن قلما تـكون وصفاتهم مجدية وعلى شيء من القوة تستطيع معها ان تستأصل المرض وان شعورنا بالواجب القومي ومشاهدتنا لما يجرى حولنا من الحوادث الاجتماعية المؤسفة وخوفنا على حبوط ما نرجوه فى المستقبل من التقدم والفلاح والوصول الى الغاية المنشودة التى نتغنى بها وجزعنا من الحاضر المضطرب والوضع الراهن الملتوى الذى يهدم كل ما بنيناه من الامل ويقطع كل ما تخيلناه وطربنا لذكره من الجرى وراء الهدف السامي وهو ان يحرز العراق موقعه القديم وان تقيم له الامم وزنا وان تحسب له حسابا .

امامنا قضيتــان هما من الاهمية بمكان عظيم الرأى العام والشعور القومى والهيئة الحاكمة او الاحزاب السياسية وهما كما وصفناهما ، ولا نستطيع القول عن الثانية او البحث عنها ما لم نقف على حقائق الاولى وعن ما هيتها وبعبارة صريحة عن النفسية العراقية واذا كان الحاضر ابن

الماضى فاننا لا نعرف حقيقة الروح العراقية ما لم نتوغل فى البحث عن الروحية العراقية منذ اجيال بل منذ مئات من السنين .

ولما كان من العسير او من المحال ان تتحكم فئة من الفئات فى مقدرات الشعوب ما لم يسندها ذلك الشعب نفسه بقواه وما لم تستمد الفئات السياسية سلطتها من الطبقة المحكومة وان معرفة نفسية الطبقة المحكومة ومعالجة كشف المخبيات عما تطويه سرائر دافع الضريبة تجاه الحكومة لمن الامور الضرورية . ومعالجة الموضوع يسوقنا حتما الى التوغل فى اعماق النفسية الموروثة منذ قرون خلت واذا ما انجلت لنا الحقائق ناصعة وظهرت لنا ما طوته الايام من المخبئات المحفوظة وما ترمز اليه هذه النفسية من الرموز التى تظهر من آن الى آن بالصدود عن الهيئات السياسية التى نراها كل يوم فاننا ربما نكون قادرين — وعسى ان نكون كذلك — على معالجة القسم الثانى وربما اننا نكون قريبين من الوقوف على تعيين الطرق القديمة للاخذ بيد امتنا العزيزة الى مراقى الفلاح واوج السعادة .

وقف ناجي باشا السويدى قبيل سنوات فى المجلس التأسيسى واقترح ان يوضع نجمتان فى العلم العراقى المحبوب وكان ذلك الاقتراح قد صدر منه على اثر عقد المعاهدة العراقية الانكليزية واذكر انه قد قيـــل بحق الاقتراح هذا ان ما يقصده السويدى باشا برأيه ان يجعل رمزاً للدولتين المتعاقدتين وان يجعل اثر ذلك التعاقد فى رمزنا المقدس وشعارنا القومي وعلى اثر ذلك ذكرت الاوقات البغدادية — حسبما يخطر لى — ان العلم

الامريكى قد حوى كثيراً من النجوم ليرمز بها الى تعدد الولايات التى اتحدت واتخذت شعارها ذلك العلم المقدس .

واننا وان كنا الان بمعرض التكلم عن نفسية الشعب العراقى وروحيته الموروثة من القديم الا اننا نجد الرمز المذكور فى علمنا المقدس يوافق الحقيقة الناصعة للشعبين القاطنين فى العراق ويمكننا ان نقول عن الرمز المشار اليه بانه يشير تماماً الى الشعب العربي والكردى وانه يرفرف على ربوع العراق من شماله الى جنوبه ومن شرقه الى غربه للــــدلالة على ما للشعبين الكريمين من الواجبات الواحد تجاه الاخر كما انه يرمي الى ما لهما من الحقوق الواجبة الاحترام ومن السيادة والسيطرة على كل مرفق من مرافق الحياة العراقية التى يرمز اليها ذلك العلم المقدس او يشير اليها ذلك السلطان القوى ونكاد نكون غير خاطئين بل نكون قد اصبنا كبد الحقيقة فيما ارتأيناه من جعل النجمتين فى العلم المقدس رمزاً على اتحاد هذين الشعبين الكريمين والتآزر والتكاتف فيما بينهما لاسعاد وترقية بلادنا المحبوبة .

واننا بسعينا لمعرفة نفسية الشعب العراقى سوف نبحث عن نفسية كل شعب على حدة كما اننا سوف نذكر شيئاً من العلاقات التاريخية القديمة التى تربط احدهما بالاخر ومكانة تلك الحوادث التاريخية عند الطرفين وما لتلك الحوادث التاريخية من التأثير والاثر الحسن فى تاريخ الاثنين واما ما نراه ممن لا ينتمى الى هذين العنصرين الكريمين من التطفل على موائد الوطنية والتبجح باظهار الشعور الكاذب فقد كفانا

جعفر باشا العسكرى مؤونة البحث عنه حيث قال فى خطابه الذى القاه فى قاعة المجلس النيابى .. فنحن ايضاً يجب ان نتمسك ببلادنا لانها موطننا ومسكننا وليس لنا موطن او مسكن آخر اما الذى له موطن او مسكن آخر فليس لنا معه كلام .

—٣—

ان البحث عن نفسية الشعب العراقى والتبسط فى كيفية تكونها والاسهاب فى اثر العوامل التى تكونت منها هذه النفسية يأخذ بنا الى درس العناصر تاريخياً وتاثير الوسط الطبيعى فى تكوين هذه النفسية كما اننا يجب الا ننسى ان للوضع الجغرافى اثره المحسوس .

العنصر العربى من العناصر السامية وقد قطنت هذه العناصر منذ آلاف السنين هذه البقعة المباركة وكانت جزيرة العرب تقذف بموجاتها الواحدة تلو الاخرى الى اطراف الجزيرة بعوامل طبيعية وسياسية مما لاحاجة للتوسع به وآخر موجة صغيرة قذفتها جزيرة العرب لعهدنا الاخير قبائل (شمر) وكانت الموجات الصغيرة امثال القبيلة التى ذكرناها لا تعد ولا تحصى ولكننا نقصد بالموجات ما كان لها من اثر تاريخى والموجات التاريخية التى اسست لها كياناً عظيما فى التاريخ كالموجة الرابعة التى صار سبب مجيئها الى العراق (لمثنى بن حارثة الشيبانى) وكانت فى زمن (عمر بن الخطاب) ولم تفترق هذه الموجة فى آدابها

واخلاقها عن الموجات التاريخية السامية السابقة التي شكلت دولتين عظيمتين كالدولة البابلية والدولة الاثورية اللتين اتتا بعد الدولة العقادية .

فالمتتبع لاداب واخلاق الاقوام العربية يجد ان لها اتصالا مع الاداب السامية المتقدمة ولا نريد الاطالة في هذا الموضوع ولكننا نكتفي بشاهد واحد وهو بيت الاخطل الشاعر المشهور حيث يقول :

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم   دون النساء ولو باتت باطهار

وقد مثل بهذا البيت صناديد العرب امثال يزيد بن المهلب واضراب آخر ملوك بني امية صاحب وقعة الزاب الذي ظلمه التاريخ .

ونجد مثل ذلك عند ابطال الدولة الاثورية. هذا حاكم بلدة (اثور) لما بلغه موت (سناشريب) قتلا وشاع خبر ذلك في المدينة واخذ الاهلون يبكون عليه دخلت عليه زوجته لتسليته وتخفيف آلامه ودفع ما يساوره من الكدر فما كان منه الا ان أبعدها عنه واجرى المراسيم الدينية المعتادة ووضع مع اصحابه الخواتم في الاصابع ولبسوا الثياب الحمراء شارة الدم ورمز الانتقام ولون الموت .

ولكن العربي في العراق غير العربي في سوريا وهو غيره في مصر وان كانوا جميعاً من عنصر واحد فالعربي في العراق شرس جموح تصعب قيادته والعربي في سوريا طائع سلس الانقياد . وعربي العراق هائج لا يخلد الى السكينة ولكن العربي في سوريا يحب السكينة ويطلب الامن . وعربي العراق لا يرضى بالهين ولا يقتنع باليسير فهو ابداً ودوماً يطلب فك الاغلال ويسعى في رفع القيود ويدأب وراء الحرية فهو سريع الحركة

سريع الانفعال يتأثر باى عامل كان ولو كان زهيداً ولكنه مع ذلك يحافظ على تقاليده القديمة حينما يذهب عنه غضبه و يرجع اليه رشده ولا ادل من تأثير الوسط الطبيعى على نفسية العربى ولا اصرح من اختلاف نفسية العربي السورى عن نفسية اخيه العراقى مما رووه ان عبدالملك بن مروان او الوليد ابن عبدالملك باني الجامع الاموى فى دمشق لما عزم على بناء الجامع الكبير كان قد عمل مصنعاً للاجر قريباً من محل البناء وطلب من الاهلين ان يقوم كل واحد منهم بالاشتراك فى العمل راجياً منهم ان ينقل كل شخص اجرة واحدة الى مكان البناء فكان ذات يوم بينما كان يرقب الخليفة العمل ان رأى شخصاً يحمل بين يديه عدداً من الاجر من المعمل الى محل البناء وهو ينقل ذلك بسرعة ثم يعود حاملا و يرجع قافلا وهكذا دواليك .

استجلب نظر الخليفة عمل هذا الرجل الذى كان خلاف ما كان يرجوه من اهل المدينة فناداه واستجوبه عن اهله و بلده وطبعاً اجابه انه عراقى فقال « ما لكم معشر العراقيين تفرطون فى الطاعة او تفرطكم فى المعصية » وهذه صفة من صفات العربي العراقى قد حكاها لنا الخليفة الاموى وطبعاً ان الوسط الطبيعى هو العامل الكبير فى ايجاد هذه الصفة فينا فنحن مع حبنا للحرية فينا غاية ما يكون من الافراط فى التصلب والعناد وان اقامتنا فى ارض الرافدين بعد مسيرنا الطويل فى الجزيرة القاحلة قد اولد فينا خفة الحركة والنشاط لمقاومة الكوارث الطبيعية والبشرية فالرافدان فى جريهما كما يدران الخير فانهما اذا هاجا يصبان جامات الدمار للبيوت ودور السكنى وهكذا تولدت فى العربى العراقى غريزة الشراسة والجموح

والرافدان فى خيرهما الوفير قد جلبا الامم الغريبة الينا طمعاً فى الحصول على هذه الخيرات وفى التمتع بهذه النعم الوفيرة وهكذا قداولد فينا التصلب والعناد وحب الانتقام ممن يريد ان يشاركنا فى مأوانا ومسكننا الذى سكناه منذ ٨٠٠ سنة قبل الميلاد وهكذا قـــد تأصل فينا حب الجندية ليقيننا ان لا حياة لنا الا بالسيف . والعربي مع حبه للحرية قد تأصلت فيه عادة من القديم وهو احترامه للتقاليد والعادات الموروثة وحبه لصيانة الاداب القديمة وتبجيله للعائلات الكبيرة التى توارثت الشرف وسمو الاعمال منذ اجيال بعيدة فهو بعبارة السياسيين (ديموقراطى ارسطوقراطى) وبعبارة العرب البسيطة (عصامي عظامى) وهذه النقطة صعبة امام من يريد ان يحكم هذا الشعب النبيـــل لانه لا القوة تخضعه ولا اللين يستجلبه وهى عقدة من العقد ومشكلة من المشاكل التى جابهت الهيئآت الحاكمة .

لنرجع الكرة نحو الشعب الكردى فهو على الاجمال يقرب من العربى الا انه يفترق عنه بان يحترم الاشخاص البارزة غير ناظر الى مقام الوراثة بل يحترم كل شخص عارك الزمان وخلق له مكاناً رفيعاً بجده واجتهاده وحسن توفيقه .

ولكن الرابطة الادبية التى تربط الشعبين قوية جداً وتستحق بجدارة ان تكون نقطة الاتحاد والوئام بين الاثنين ودليل ذلك يوم وقف المسيو (بيثون) فى مؤتمر فرسايل يدعم حق فرانسا على سوريا باثارتها للحرب الصليبية فاجابه جلالة الملك (فيصل) بكونه الوارث لمجـــد (صلاح الدين) : من منا ظفر بالحروب الصليبية ؟ . . .

- ٤ -

ذكرنا فيما مضى صورة صغيرة للنفسية العربية العراقية ووصفناها وصفاً بقدر ما يسمح لنا المقال وكان من جملة ما قلنا ان العرب عظاميون وانهم يحترمون العائلات القديمة وان للشخصية البارزة عندهم المقام الكبير من الاجلال والاحترام وانهم يحلونها المحل الرفيع في سويداوات القلوب .

وان عدم التناسب بين روحية الشعب وبين كثيرين ممن تصدروا لقيادته والذين طلبوا منه الانقياد طوعا او كرها من العوامل الكبيرة في وجود الاضطراب السياسي الحالي ولهذا تراهم ابداً ودوماً مع الجهة المهاجمة .

ولا نستطيع القول بان من صفات الجمهور وقت التهيج الهدم والتخريب نعم اننا نستطيع ان نقول ذلك ونصفه هذا الوصف فيما اذا لم تكن الغاية معينة والهدف المساق اليه الجمهور معلوماً فالذنب ليس ذنب العامة ولكن الذنب كله يقع على عاتق الخاصة ونعني بهم من استسموا بالزعماء ومن طوحوا بانفسهم لقيادة الجمهور . وهو امر يثقل على كل انسان حمله وان كان الراغبون فيه كثيرين . سئل (فورد) عن سبب اضطراب اوروبا المحمومة اقتصادياً فاجابه بكلمة (القادة) فقط .

فان كانت اوربا تشكو من قلة القادة فما احرانا بان نكون من المعذبين وما اشقانا بان نكون من الهالكين وما اتعسنا بان نكون من المفلوجين .

الزعمـــاء

من المصائب الكبيرة التى حلت بالعراق هى تعـدد الزعماء لشعب صفاته كما قدمنا ولا نستطيع بان نرمي الكل فى جهة واحدة لاننا نكون قد غمطنا الحق ووقعنا فى حفرة الاستئثار من حيث اردنا الوقوف على الحقيقة فقط .

يقولون اذا صعب عليك العثور على الحقيقة والوقوف على سر من الاسرار استنجد بالرأى العام واننا اذا رجعنا الى الشعور العام نراه حينما تحدث حادثة غير ملائمة لطبايعه كالجور والعسف وغمط الحقوق والتجاوز والتعدى يذكر الرجال الذين اشتهروا بعملهم الفردى واستبدوا بجبروتهم الذاتى امثال الحجاج وغيره من المتأخرين فالعامة تشعر اذا بحكم طبيعـة الحال ان البلاد لا يفيدها ولا ينقذها من الاضطراب والتعدى وغمط الحقوق وردع السفهاء الا السلطة الفردية وهذه ماتسمى الان بالعرف الغربى بكلمة (الدكتاتورية) . وتاريخ الامم الساميـة عموماً والعراق خصوصاً من القديم يميل الى هذه الجهة بطبيعته لعوامل شتى لا حاجة لذكرها ولكن نظرة بسيطة الى وضع العراق الجغرافى تقنعك بصحة هذا القول وتجعله امامك قضيـة ملموسة باليـد وحقيقة ناصعة لا تحتاج الى برهان واقامة دليل .

ومع اعتقاد الجميع بصحة هـذا الرأى فان المصلحة القومية تقتضى ان لا يكون شئ من هذا فى الوقت الحاضر لان السيادة القومية فى المعنى الصحيح مبتورة ويخشى ان تستعمل هذه السلطة فى مصلحة الغير لا فى مصلحة

القومية العربية ومشت الدولة العراقية حسب الوضع المألوف عن اصول توزيع القوى وهو ما يسمونه بالحكم النيابى او التمثيلى واذا نظرنا الى حقيقة هذا الحكم نراه يرجع بنا الى ما هو غريزة فى الشعب العربي وهى حبه للطبقة الارستوقراطية لان مايقال من ان القصد من الحكم التمثيلى هو سيادة الشعب والرجوع الى حكم الامة امر مبالغ فيه بل هو بعيد عن الصحة والحقيقة انه ارستوقراطية بالانتخاب بدل الارستوقراطية بالوراثة فكما انه يوجد ملوكية بالانتخاب كرؤساء الجمهورية كذلك يوجد ارستوقراطية بالانتخاب وهى الحكم التمثيلى كما اننا لو تعمقنا فى البحث عن الحكم النيابى فى انكلترة التى هى ام الامم النيابية نجد ان جرثومة المجلس النيابى الانكليزى الحاضر كانت حسب العادة المتبعة عند ملوك انكلترة من انهم يضعون رؤساء المقاطعات البعيدة عن العاصمة تحت ايديهم كرهائن لدفع ما على تلك المقاطعات من الضرائب ولكى تبقى تلك المقاطعة تحت سلطة الملك وان تحسن سلوكها وان تقوم بحاجات الملك وحكومته وهذه الحالة كانت جارية عند الاتراك حينما كانوا يأخذون شيوخ العشائر من مقرهم الى العاصمة ولا تزال تمثل فى ايران وآخر دور مثلته مع امير المحمرة الشيخ خزعل امير بنى كعب وهذا الدور غير بعيد عنا معشر العراقيين.

ومهما يكن فى الامر فان الوضع الراهن من الحكم التمثيلى الذى سبب كثرة المتزعمين وعدد لنا الشخصيات قد نرى له مبرراً وقد نجد له نقطة تقريبية الى ما فى نفسية الشعب من حبه واحترامه للعظامية والارستوقراطية واذا اضفنا المبرر التاريخي فى امر (الشيرزى عند

العرب) نكون قد دعمنا الوضع الراهن بمنعنات قديمة ملائمة لاطباع العرب فان (عمر بن الخطاب) لما استشار العامة والخاصة فى تولية قيادة جيش القادسية اشارت عليه العامة بان يتولى القيادة بنفسه وان يسير بنفسه لانهم بأميرهم ارغب ولخايفتهم اطوع واشارت عليـــه الخاصة بتسليم القيادة لغيره وبقائه فى المدينة لانه بقيمـــة حياته اعرف وعلى وجوده بعيداً عن ساحات القتال احرص ولكنه لم يأخذ برأى العامة بل اخذ برأى الخاصة وسلم القيادة بعد الاستشارة على شخصية القائد الى (سعد ابن ابى وقاص).

بيد انه من المعلوم بديهياً ان المعدة اذ ادخل فيها الشيء الكثير من الغذاء تصاب بالفساد سيما اذا كان الشيء غير متجانس وقد ابتلى العراق سياسياً بمرض فساد المعدة السياسى لانها لا تستطيع هضم ما قدم لها من العلوفة فالعلة الوحيدة التى انتجت هذه الفوضى السياسية هى التضخم فى التشكيلات سواء أ كانت فى الحكم التمثيلى او فى المؤسسات الادارية

ونتج من هذا التضخم فى التشكيلات ان فقدت الموازنة المقتضية فى الحياة الشعبية وتلاه طبعاً فقدان التوازن بين الهيئات السياسية واصبح مرض السياسة داء وبيلا فتاكا فى جسمنا الضعيف الهزيل وضاعت مصلحة الامة بسببها . اذ بينما نجد الامم تعالج السياسة لاجل ان ترمي منها الى توسيع الرزق والى تهذيب الشعب والى صيانة الصحة وتعد ذلك بحق وسيلة وان خدمة الامة هى الغاية نرى الامر عندنا بالعكس وكان نتيجة ذلك ان ديست مصالح الامة بسبب هذا المرض الفتاك .

بنيت سياسة البلاد فى الادارة وتشكيلاتها وفى حياتها السياسية على طريقة التضخم والتوسيع وليس فى مقدور اى واحد من ابناء البلاد ان يعترض على هذه الاوضاع لانها احدثت من قبل يد قوية قاهرة لها من المصالح الاقتصادية والحيوية فى العراق مالها قبل ان يدب فينا دبيب العمل لانشاء واحداث وتأسيس دولة عربية . ونتج من ذلك ان كثر فى بلادنا الجيش الجرار الذى يعيش على اكتاف الامة .

ولا نكتم ان غموض تاريخ البلاد القديم الذى لايزال مجهولا عند العامة وحتى الخاصة منا قد ساعد على زيادة الاضطراب وتوسيع ساحة الفوضى واحداث نغمات جديدة كل يوم باسم الوطن والامة من قبل اناس لاعلاقة لهم بهذه التربة المقدسة ولا رابطة بينهم وبين البلاد سوى ماجاء من جراء الوضع السياسى القديم .

وكانت هذه النغمات يثور ثائرها ويعلو صراخها كلما وجدت الجو صالحا للنفخ بذلك البوق واحسن وقت ملائم لها يكون حين تكفهر سماء العراق بغيوم السياسة الداخلية والخارجية وقد ضربت النعرة القومية العربية ضربة قاسية كانت تقضى على احلام رجال الثورة العربية المقدسة وقت التئام المجلس التأسيسى لو لم يتداركها بطل من ابطال البلاد سوف يحفظ له التاريخ ذلك وكان الامر مدبرا داخل بناية المجلس وخارجه ولما قام هذا البطل والقى خطبته التي اشتمت منها العامة ريح التقلب

والخروج عن الخطة سخطت عليه من حيث لا ترى . وقد بدا لنا من غموض الحقائق اثناء الثورات وزمن الانقلابات ان كثيرا من المخلصين يذهبون ضحية الحقائق المطموسة التي لم تكشفها الايام في حينها وهذه واحدة منها جرت امامنا وفي بلادنا

لكل عمل جهة يتجه نحوها ولكل جهة غاية يمشي اليها العمل ويبذل في سبيل الوصول الى تلك الغاية كل ما يستطاع من الجهود والاتعاب وطبعا تختلف الجهود من قبل العاملين لاجل الوصول الى تلك الغاية والامم لاتحيا ولا تستمر لهـــا الحياة مالم يكن لها (معبود قومي) تعبده وتقدسه فلنتسائل مع القراء الكرام عن (معبودنا القومي) وعن رمز ذلك المعبود وعن الجهود التي يبذلها الزعماء العراقيون لاجل الوصول الى غاية مقدسة وعن الطريقة المتبعة في سبيل ذلك وعن كمية الجهود التي بذلت من كل واحد منهم على انفراد وعلى اجتماع وهل من المستطاع ان نرى من حياتهم الماضية شيئا يرشدنا و يقنعنا عن حسن طريقتهم ؟ وهل لهم من الحوادث اليومية التي يشهدها الكثير منا مايبرر ادعائهم بانهم جديرون بالزعامة ؟

وهل في الامكان ان نرى بين ثنايا حديثهم وخططهم شيئا يصح التعبير عنه بانهم دائبون وراء شيء يسمى (المثل الاعلى) ليعتقد بهم الشعب ؟ وهل من الميسور ان نرى في اعمالهم مايرشدنا بانهم مجدون وراء شيء معنوي يكفل استمرار الحياة القومية فيما اذا اخذ الله وديعته منهم ؟ وكلنا على هذا الطريق سائرون !

وهل من السهل ان نرى الخطط التي وضعوها لاجل حياة الامة العراقية تكفل لها طول الحياة ولو بعد جيلين ؟

كل هذه المسائل تبدو لنا ونفتكر ان القارئ الكريم يشاركنا فيها لنجعلها مقياسا نقيس به قوة الجبابرة الذين يطلبون الانقياد اليهم وان يكون منهم الامر ومنا الطاعة وان يكون منهم الاشارة ومنا العمل وان يكون منهم القول بلا عناء ومنا العمل ولوكان فى تقديم المهج والارواح

الشعب يشبه الغنم فى قطعانه فهو يريد رعاة يقودونه الى الارض الخصبة ويحمونه من الذئاب المفترسة والحيوانات الضارية وان يرعوه بعين لاتعرف النوم وان يذودوا عنه بقوة لا تعرف الكلل وان يتفقدوا الضعيف كي لا تطاه الارجل القوية وان يعتنوا بالاصواف التى تحمى الخروف من حرارة الشمس وصبارة الشتاء .

فهل فى زعمائنا من ينظر الى الشعب كنظر الراعى الى غنمه كما وصفنا ؟ وهل فيهم من ينظر الى الخرفان بعين الرحمة والشفقة والحنان ؟ وهل فيهم من لو نظر الشعب الى ماضيه استطاع ان يرى شيئآ من العناية لاصواف الغنم التى يريد ان يقودها وهل فيهم من يطمئن اليه الشعب ويصغى الى اقواله كآيات منزلات ؟ وهل فيهم من له من النفوذ الادبى والسطوة الروحية بحيث يستطيع بما له من المقدرة النفسية والشجاعة الادبية والايمان الخالص والصدق فى العقيدة والاستقامة على المبدأ والاقدام فى سبيل المصلحة العامة والجرأة لمجابهة المخاطر والقوة لتذليل الصعاب والرضوخ الى الحق حينما يظهر له فى ناحية من النواحى

والاستطاعة على التكلم بالكلام الصريح والشخصية التى تلعب بالباب العامة بحيث يرونه فى كل ادواره التى مثلها على اختلاف اوضاعها مستقيما جريئاً مقداماً لا يخاف فى الحق لومة لائم ؟ هذه وكثير غيرها صفات يتطلبها الشعب العراقى من الذين يريدون ان يصغى لقولهم الشعب وان تنقاد اليهم الامة وان تتبعهم اينما يسيرون .

وليس لنا ان نسأل كل واحد من المتصدين للزعامـــة فى العراق او ان نوجه اليه هذه الاسئلة ؟

كما انه ليس لنا ان نقارعهم بالحجة على ما يقولون و يكتبون . فاننا نكتب ما نشاهده فى اعيننا من المآسى وما نشعره بواسطة الضمير من الواجبات وما نصوره فى مداركنا من الحوادث والماجريات اذ اننا لاندعى الوكالة عن الشعب حتى ننتقى له الرعاة الصالحين ولكننى احد افراد الشعب او احد خرفان القطيع واريد راعياً يعتنى بى ويرشدنى الى الارض الخصبة ويحميني من الطوارئ وينظر الى صوفى التى تحمينى من حرارة الشمس وصبارة الشتاء وقد كنت فى السرب ولا ازال بين هبوب العواصف ورعد السماء فرأيتنى بعيداً عن رفاقى واخذت اتخبط فى الوديان على ارى راعياً تأخذه الشفقة والرحمة والحنان فيعطف على وعلى رفاقى بعين لاتعرف النوم وقدقادنى الحظ الى التقرب من الكثيرين منهم وسوف اشرح لك ايها القارى شيئاً عمّا رأيت ونبأ عما شاهدت من طرق العناية التى يراها الرعاة العراقيون فى صلاح قطيع الغنم و كيفية حفظ ذلك السرب من الحيوان الضاري واي الطرق التي يجب ان

يمشى عليها الرعاة للوصول مع السرب الى الارض الخصبة وطبعاً انى سأحتفظ بالاسماء مع الاحترام لكل من يريد الخير للامة العراقية .

-٦-

قلنا ان فى البلاد (نغمة) يثور ثائرها كلما وجدت الجو صالحا لها وليست هى ابنة اليوم بل وليدة تاريخ (العراق السياسى) منذ قرون عديدة اولدت فيه (الشكوكية) فى كل شئ ولا تزال هذه النغمة فى وثباتها ضد الفكرة القومية العربية .

ومن الاسف ان رجال القومية العربية لم يعملوا العلاج الضرورى لقتل هذا المرض الوبيل الذى اصبح مجتمعنا العربى بسببه هزيلا وقد قلنا يوما لاحد اقطاب المعارضة شيئا عن هذه (النغمة) ومبلغ اضرارها على حياتنا القومية فاجابنا بتخوفه من هذه الناحية وانه يخشى تاثيرها كما انه يجب اتخاذ التدابير اللازمة للقضاء عليها ولما سالناه عن العلاج حسب عادتنا فقال لاادرى !

ان كلمة (لاادرى) تصدر من فم رجل خبير له حنكته السياسية ومقدرته لحل المعضلات وسعة الاطلاع مع ممارسة الحكم زمنا طويلا لم تقع عندنا موقع الاستحسان ولم نكن لنتوقع الاجابة على سؤالنا بهذه الكلمة التى لاتداوى جراحا ولا تشفى عليلا وهو يعلم حق العلم اننالم نكن بسؤالنا هذا قاصدين غير الوقوف على الحقيقة وللعثور على نبراس نجعله منارا يضئ لنا الطريق فى معتركنا القومي الحيوى .

استدرجنا (السياسى) فى الحالة الراهنة وما ينجم من الاضرار فيما اذا بقيت الشقة بعيـــدة بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة واستئثار البعض بالسلطة تارة باسم الوطن وطوراً باسم المصلحة العامـة فكان جوابه : يجب علينـا ان نلقى فى دماغ الشعب انه هو الحاكم وانه يجب ان يكون مسيطراً على شؤونه ومرافقه الحيوية ولما سألناه عن الخطة الواجبة الاتباع لابعاد الخطر عن حياتنا القومية والسياسية اجابنا على عادته من وصف العلاج بالطرق السياسية لا اكثر ولا اقل .

انهذه الطريقة التى ارشدنا اليها (السياسى المحنك) بكلمتين مقتضبتين لم نرها كافية لازالة ما فى النفوس من الاضطراب ورفع ما فى الاجسام من الالام المبرحة . (كلمتان فقط) صدرت من فم سياسى لاشرح معها ولا تفصيل نبهتنا الى احدى الطرق الواجبة الاتباع فى حياتنا السياسية المتضخمة والتى انتج التضخم فيها تفسخاً كبيراً فى مجتمعنا المملوء بالشكوك والاوهام والسعى وراء الغايات الشخصية .

ان هذا العلاج الذى سنذكره بعد مفيد جداً من الوجهة السياسيـة وان كنا نجهل التفصيلات التى يقصدها ذلك السياسى ولـكن الذى يمنع تطبيقه فى الوقت الحاضر ارتباكه فى المسائل الاقتصادية العامـة التى تزيد الارتباك تعقيداً والتعقيد بعداً . وتختلف طريقة الاصلاح الاقتصادى عن الاصلاح الاجتماعى ففى المسائل الاقتصادية ينظر الى قيمة العلاج وما ينتجه من الفوائد المادية والى الضرر المتـاتى من المرض الموجود واذا اربت قيمة العلاج على الفائدة المتاتية من المرض فانهم يرون الابتعاد عن استعمال العلاج المذكور .

لنرجع الان الى الزعماء العديدين فى العراق وعن الخطة التى يتبعونها فى الحياة السياسية ويسيرون عليها فى النضال حينما تشتد الخصومة بين الطرفين .

الحياة السياسية عندنا ضعيفة جداً ولضعفها و ياللاسف قد حرمنا من فائدة كبرى وهى (الحياة التعاونية) التي تقوى وتنمو كلما قويت فينا الحياة السياسية وقد جرنا ضعف الحياة السياسية او بالحقيقية جهلنا للسياسة الى الوقوع فى حب السيادة المطلقة ومن حب السيادة المطلقة الى الانانية وهكذا تجـــد الفرد منا اذا خاض المعامع السياسية تراه لا يلوى عنانه الى احد ابداً بل هو يدأب ويعاند ويجاهر بالعداء لكل من يخالفه بالرأى والعقيدة فتتفكك القوى و تنحل اواصر الرابطة الاخوية و يتناسى الكل الرابطة القوية التى تظلهم تحت سماء واحدة وتجمعهم فى صعيد واحد فهناك يذوب الشعور الاخوى و يقوم مقامه الجشع فى الارث والطمع فى الاستئثار بالسلطة وكثيراً ما نخلط بل لا نفرق بين السياسة والوطنية فاقل ما يكون عندنا ان نرى المخالف لنا فى الرأى مارقا وربما بلغ بنا اختلاف الرأى الى العداء الشخصى نحو المخالف وهـــذه ظاهرة تدل صراحة على التفسخ فى حالتنا الاجتماعية والانكى انك لا تجد من يوفق بين الرأيين ويجمع بين الشخصين بل تجد الكثيرين يسعون بالعكس كلما ظهر لهيب الخصام زادوه اضراماً .

وجرنا الجهل فى السياسة الى عدم التفريق بين الرأى السياسى وبين الوطنية والسياسة شيء والوطنية شيء آخر .

وعدم التفريق هذا بل وهـذا الخلط سوف يوقعنا بهاوية كبيرة لا سمح الله واللوم كل اللوم يقع على عاتق اصحاب الضمير الحي من ابناء البلاد .

كأن الغلطة التي يرتكبها السياسي في نظر خصومه ستكون بعيدة من ان يصيبه اذاها وان يقاسي نتائجها عجيب هذا الامر الم يكن لذلك السياسي عـلاقة في صعيدنا ؟ اله تربة غير تربتنا ؟ ام له سماء تظله غير سمائنا ؟ .

— ٧ —

بعد كتابة المقال السابق اتى الي شاب يحمل بيده مجلة (العرفان) قائلا لي اقرأ هذا المقال وكان الشاب نفسه يعرف مني المبدأ والعقيدة اخذت اقرأ واذا المقال معنون هكذا (الشيعة في بلادهم) فقلت قـــد ظهرت (النغمة) التي اتخوف منها كثيراً وقد بدت لي على صفحات المجلات بعد ان كانت تلقى في الاذن همساً وبعد ان كانت تعلو شفاه الدعاة بكلمات مشوشة مضطربة لا يستطيع اصحابها على التصريح بما تكنه صدورهم من الغل والحقد نحو (رجال الثورة العربية) و (المبدأ القومي العربي) .

بدأ الـكاتب مقاله بكذا (. . . . وكان حتما ان اعالج قضية البلاد الداخلية وان ازيح الستار عن السياسة المتبعة لارهاق العراق وغمط حقوقه المشروعة ولست ابالي بعـد ذلك ان يقال طائفي يريد

الفتنة ويستريح الى التفريق فقد قالوا مثل هذا القول المنكر وحملوا اشد من هذه الحملة وكالوا من التهم ما لا يعـــد ، اللهم الا اذا عدت مساويهم واحصيت سيآتهم وخطيئاتهم) ثم قال في مكان آخر عن جلالة (الملك فصيل) . . . . وما كان فى حسباننا ان يؤثر فريقاً على فريق و ينحاز الى فئة دون فئة فيخرج على (حياد الملوك) فى (عصر الجمهوريات) فيغضى عن ثلاثة ملايين عربى كريم .

ثم فى عرض المقال ذكر الكاتب عن السياسة المتخذة نحو الشيعة فى زمن الاتراك ما يأتى : وقـد كان للاتراك بعض العذر فى اتباع هـذه السياسة الخرقاء (سياسة محو الذهب الشيعى فى العراق) وذلك لان العراق كان جزءاً من اجزاء الانبراطورية العثمانيـة وكانت الاكثرية الساحقة يومئذ من اهل المذهب السنى . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كان الاتراك يحاولون بهذه السياسة المذهبية ان يقضوا على دسائس الحـكومة الايرانية ومطامعها فى العراق ، وذلك لاعتبارات دينيـــة وسياسية لا تخفى على رجال السياسة الاكفاء الخ) .

اما مسألة (السنة والشيعة) فقد كفانا عن الخوض بها صاحب المجلة فى العـدد ذاته المؤرخ رجب سنة ٣٤٩ حيث نقل فى مختارات الصحف شيئاً من كتابة الاديب (اسماعيل محمـد) المنشورة فى الامالي اللاذقية تشرين الاول ١٩٣٠) ما يأتى (السنة والشيعـة ، اوجدتهما السياسة لا الدين) وبعد از ذكر الانقسامات بين الهاشميين والامويين قال : (ومن يتصفح تاريخ الامـــة العربية منذ ظهور الاسلام حتى

انقراض العصر العباسي ير ان علة تلك الانقسامات من مصادر سياسية لا دخل للدين بها).

تمثلت المقال ملياً واخذت فى تحليل كلماته فتبين لى من اسلوبه ان كاتبه عربى كما ذكر عن نفسه ولكننى لا اجزم بعروبته الحقة من حيث الدم الموروث والثقافة المكتسبة من المحيط منذ اجيال بعيدة.

وقع الكاتب تحت تأثير عاملين كبيرين (عامل الوراثة للدم العربي) و (عامل الوسط الذى تربى فيه ونشأ على مناهجه) ولكن الوراثه مهما نبلت و زكا اصلهافهى لاتنبت النبت لزاكي مالم يعينها و يثقفها ويهذبها و يصقلها الوسط التى تعيش فيه الافكار ومصيرها لى لانحطاط والتدهور

وان الكاتب مع وصفه للخلق العربى بالكرم لم يستطع انكار الفوائد التى جنته (ايران) من السياسة الشيعية وان (المذهب الشيعى) قد كان خير سلاح تتذرع به (ايران) للقضاء على من يحاول منعها من بسط نفوذها على العرب و يمكننا ان نستنتج من اقوال الكاتب ان (المذهب الشيعى) هو وسيلة للاعاجم للقضاء على العرب والعروبية.

ومن كان يرقب الحركات الهدامة التى كانت تعمل سنة ١٩٢٠ فى بغداد للقضاء على امال العرب الثائرين حينما اخفقوا فى سوريا وولوا وجوههم شطر العراق يتبين له ماكان لتاثير السياسة الايرانية فى بلادنا حتى ذلك الزمن.

لم تكن (الثورة العراقية) فى سنة ١٩٢٠ بنت يومها ابدا ولم يبذر بذارها الطيب امثال الكاتب ومن تصدى الزعامة بعدها ولكنها كانت

نتيجة امال الفتيان الذين قدموا شبابهم وارواحهم ثمنا لاعادة المجـــد العربي قبل الحرب العامة وهؤلاء الفتيان هم الذين عناهم الكاتب بقوله (صبيان الازقة) و (مكارة فى الجيش التركي) .

علم الكاتب ام لم يعلم بـان (صبيان الازقة) هم الذين اسسوا فكرة (القومية العربية) بينما كان الكاتب واحزابه (العوبة بيـد الاعاجم) حسب اعترافه .

علم الكاتب ام لم يعلم بان (صبيان الازقة) هم الذين انشاوا حزب (العهد) وان (جعفر باشا العسكرى) الذى كان (رئيسا) فى الجيش التركى لما راى حاجة القائمين بالفكرة العربية الى الدراهم قد باع كتابه الذى كان ذخره وكان كل مايملكه فى ذلك الحين وكان قبلته التهذيبية وكان كل شىء عنده الا (القضية العربية) .

فقد سخى (العسكرى) بما كان يؤمله من درس (الانسيكلوبيديا الالمانية) وباع كتابه الذى لا يملك غيره اذ ذاك فى اربعة وعشرين ليرة تركية لتاسيس فروع لحزب (العهد) فى الاقطار العربية .

علم الـكاتب ام لم يعلم بان الزعيم الحقيقى (على المصرى) اعان الضباط العراقيين وغيرهم فى اربعين ليرة تركية لتأسيس فروع للحزب فى الشام وحلب وبيروت سنة ١٩١٣ فـكان الحزب فى بيروت تحت رئاسة المرحوم (مختار بيهم) وانضوى اليـــه فى الشام (المقدم اسعد المـلكى) و (العقيد عارف بك التوام) وانضوى اليه فى حلب (المقدم يحى كاظم) و (المقدم علاء الدين الـكلاسي) . وكان الضباط العراقيون

همزة الوصل بين الدماغ المفكر لهذه النهضة المباركة ان شاء الله و بين افراد الامة العربية بينما كان الكاتب وامثاله العوبة بيد الاعاجم حتى فى سنة ٩٢٠، وربما كان بعدها .

لا يستطيع الكاتب ان ينكر مدى تأثير (ايران) على حركاتنا السياسية فى سنة ١٩٢٠ وان تجاهل عن ذلك فاننا نذكره ما دار فى خلد البعض من مراجعة (القنصل الامريكى) فى (بغداد) احتجاجا على السياسة الخرقاء المتبعة فى العراق من قبل (السلطة الانكليزية) . قد يفسر الكاتب ذلك تفسيراً غامضاً حسب العادة المتبعة فى السياسة عند امثاله تضليلا للعامة تحت ستار الوطنية ولكن نظرة الى كتابى (الكساندر فول) لذى يقول فى احدهما (يجب على الامريكيين ان يشفقوا على الفرس لان الفرس من عنصر ققفاسى فهم يستحقون كل مساعدة لانهم اصل الامريكيين) وقد كانت الرابطة بين الفرس والامريكيين فى ذلك حسنة جداً .

وكانت مالية الدولة الفارسية تحت اشراف الامريكان ومشورتهم . وكان من واجب الامريكيين ان ينظروا الى الروح العربية فى العراق بعين المقت والكره وهكذا فعل (الكساندر فول) فى كتابه من حيث يدرى كاتب المقال او لا يدرى .

-٨-

نريد ان نذكر كاتب المقال بانه لا يزال تحت المؤثر الاعجمى سواء حكم العروبة التى انتمى اليها ام لم يحكمها فهو اعجمى بافكاره اعجمى بثقافته اعجمى من حيث يدرى او لا يدرى بالرغم من وصفه العربي بالكرم وبالرغم من انتسابه للعرب بالدم .

لا نلوم الكاتب فيما كتب ولا نقرعه فيما عنى وقصد من الخروج على (الاداب العربية السامية) لان الثقافة التى تناولها من الوسط الذى كان ولا يزال تحت تأثير الافكار الاعجمية قد طمست على قوى الوراثة العربية سيما اذا لم يكن لها محرك يحركها او شيء يصقلها ليبرزها الى الوجود وضاحة الجبين .

وما كنا لنجيب الكاتب فيما نشر لو لم يصف العربي بالكرم بمقاله الذى نحن بصدده فدفاعا عن العروبة التى نعتها باحسن النعوت نذكر الكاتب بان الواجب عليه وعلى امثاله من المفكرين ان ينهضوا بعرب العراق وان يقوموا ما اعوج من الاخلاق السامية وان العرب اوالنفس العربية لتأبى كل الاباء بان تكون خاضعة ذليلة : واى ذل اتعس من من الانقياد الى ثقافة غير عربية فالشمم والاباء العربي ليأنف حتى من تلفظ كلمة (الاتضاع والانقياد) وان العربى ليستكبر هذه الوصمة بان تلحق بالعرب .

علم الكاتب ام لم يعلم بانه قيل لاعرابي كيف تقول : استخذأت

او استخذيت ؟ قال : لا اقوله ، فلما قيل له ولم ! قال : لان العرب لا تستخذى ! فهذا البدوى ابت نفسه الكريمة من التلفظ بكلمة (الانقياد) وكاتبنا يعلم ما لتأثير الثقافة الاعجمية على عربنا الكرام ويعترف بانها قد كانت آلة بيد الاغراب يلعبون بها كيفما شاؤوا وشاءت لهم المصالح السياسية ولكنه انقاد - مع الاسف - الى استثمارها بدل الدعوة الى اصلاحها واظهارها بثوب عربي كريم .

علم الكاتب ام لم يعلم بان الاخلاق الكريمة التى ورثناها عن اجدادنا الكرام والتى ساعدتنا على (موجتنا الرابعة التاريخية) قد انحطت تحت تأثير الثقافة الغريبة عنا فنسينا كلام (على ابن ابي طالب) حيث يقول (الايمان : ان تؤثر الصدق حيث يضرك . على الكذب حيث ينفعك) وان هذا الكلام الذهبى قد تنوسى العمل به وبدل بما رواه (هيرودتس) عن الاخلاق الفارسية القديمة واننا قد خسرنا بذلك اكبر قاعدة ذهبية لتقويم اخلاقنا .

علم الكاتب ام لم يعلم بان العرب الذين يريد ان يستثمر عواطفهم قد اضاعوا كثيرا من الرجولية وانهم انقادوا الى مؤثرات لا تطابق نفسيتهم العربية الموروثة - وا اسفاه - وقد كانوا هم مهد الفروسية وابطال الوغى وصناديد ساحات القادسية والابلة ولكن الثقافة الاعجمية قد بدلت منهم تلك الاوضاع وغيرت منهم تلك الطباع ونسوا انهم عرب و (العرب تعير بالكاء) . وها نراهم - وا اسفاه - يقعدون القرفصاء ويبكون كالثكلى واليتامى لامر سياسى لا دخل له فى الدين ابدا

وان مصدر الامر غير مجهول لدى الكاتب . فلم لم يقم فيهم خطيباً
ويذكرهم بقول المهلهل :

يبكى علينا ولا نبكى على احد ونحن اغلظ اكباداً من الابل

ويزجرهم بقول جرير :

بكى دوبل لا يرقئ الله دمعه الا انما يبكى من الذل دوبل

اننا لانريد وحق العروبة الكريمة فيما نكتب قصداً سيئاً ولانضمر لاخواننا العرب الا ما يضمره المخلص نحو اسياده وعشيرته ولكننا نريد ان نذكر الكاتب بل نلتمس منه الرجوع الى الحقائق والقيام بما يتطلبه منا الضمير الحى والواجب الوطنى والشرف القومى فقد كفانا الاستعباد الذى مضى عليه اجيال عديدة ولو سمح لنا الكاتب ووسع لنا ما فى صدره من (العروبة الكريمة) لمددنا له يد الاخلاص العربي وها انا نمدها اليه باسم العرب الكرام قائلين له من العار علينا ان نكون عبيداً لاراء وافكار وتقاليد جعلتنا عظما على وظم وابعدتنا كل البعد عن الفروسية والرجولية التى اتصف بها اجدادنا الكرام ولا اظنه ينسى او يتناسى مدى تأثير الافكار البويهية الساسانية على العرب البغداديين فى سنة ٣٥١ هجرية ولكنه يجهل ونحن نحب ان نعلمه ان من عادة الظافرين اشهار من وقف حجر عثرة فى سبيل مطامعهم القومية وان الحادثة البويهية التى لا يزال اثرها فى العراق هى احدى الروايات التاريخية التى كان يمثلها الفرس والرومان واليونان على السواء وما عهد القارئ بما نشرناه عن الزباء فى عاصمة روما ببعيد ! .

لنعد الى ما ذكره الكاتب عن (جلالة الملك فيصل) بقوله : وما كان في حسباننا ان يؤثر فريقا على فريق و ينحاز الى فئة دون فئة فيخرج على (حياد الملوك) في عصر (الجمهوريات) فيغضي عن ثلاثة ملايين عربي كريم .

نريد ان نذكر الكاتب بخروجه على العنعنات الموروثة منذ اجيال بعيدة للعناصر السامية ومنهم العرب الكرام كما يصفهم اوالاشبال خلفاء الاشاوس كما يصفهم التاريخ .

وان الدافع لذكره كلمة (الجمهورية) ونعته هذا العصر في (عصر الجمهوريات) هو تأثير الثقافة الاعجمية عليه حتى طمست امامها كل النزعات الموروثة من انتسابه للعنصر العربي الكريم .

فالعرب ياحضرة الكاتب من العنصر السامي الذي له اداب وعادات وميزات تكاد تكون خاصة به لا يشترك فيها معه احد من العناصر الاخر .

وان لهذا العنصر السامي الذي يحتوي على العرب واليهود والاراميين والاشوريين والفينيقيين والبابليين والعقاديين عنعنات رفعته الى السماكين من بين سائر الشعوب ومن تلك العنعنات حفظه لنسبه حرمة للبيوتات الكبار و تقديسا لذوي المجد وتمجيداً لمن كان لهم المقام الكبير في مجتمعهم القومي . وهذه الميزة التي لا توجد الا عند العنصر السامي دليل على إن فكرة (الجمهورية) لا تجد لها ارضا صالحة عند هذا الشعب النبيل وقد ثبت ذلك في كل ادوار التاريخ السامي كما ان (الجمهورية

و (الملكية) ليستا وليدة عصرنا هذا بل هما فكرتان قديمتان مر عليهما مئات من السنين .

لنرجع الى الادوار القديمة ولنحكم التاريخ فيما عناه من ذكر كلمة (الجمهورية) وعن نشوء هذه الفكرة . ولا حاجة لنا الى ان نذهب بعيد عن ديارنا فتاريخ الشرق القديم بالنسبة لتاريخ الغرب القديم ايضا هو اشبه شيء بشعلة من نار قد عم نورها الافاق حتى وصل الى آتنه التى سجلت لنا آثار الشرق القديم .

وما (الجمهورية) التى ذكرها لنا (افلاطون) ولا (الارستوقراطية) التى بجدها (ارسطو) الا وصف لحكومات كن فى الشرق يا حضرة الكاتب فاملياها على ابناء جلدتهم كل منهما حسب البقعة التى درس فيها والعوامل الوسطية التى اثرت عليه كما اثرت الفكرة الاعجمية على كاتبنا المنتسب للعرب .

فهيرودوتس وغيره من اساتذة اليونان الذين اشتهروا بما صنفوه من الكتب عن الشرق كانوا تلامذتنا معشر الشرقيين — الاصطلاح مغلوط اذ العرب غير شرقيين — وقد كانت المدنيات عندنا على اختلاف عناصر القائمين بها . قد حركت ما فى قلوب جهابذة اليونان من حب الاستطلاع الى توغل كثيرين منهم للاستفادة منها .

فكل ماهو مكتوب فى كتب الفلاسفة القدماء من حيث اشكال الحكومات هو ما كان عندنا من الترتيبات والاوضاع وهذه حقيقة ان

انكرها حضرة الكاتب فلا يستطيع التاريخ ان يتكرها بل يذكرها لنا وهو مبتهج جذل .

وقد كانت الدولة الفارسية قبل ثلاثة وعشرين قرنا تحكمها حكومة اقطاعية ولكنها غير وراثية لكونها كانت خليطا من عناصر متعددة مختلفة الثقافة فكانت تحت تأثير نظريات الامم (الهندية — الصينية) وهذه الافكار قد اثرت على (افلاطون) فبنى نظريات (الجمهورية) عليها بخلاف نظريات (ارسطو الارستوقراطية) التى بنيت على نظريات ابناء الامم السامية الذين كان لهم القدح المعلى فى (المنطق) والذين جعلوا المنطق هذا كاساس لدرس الطبيعة ومعرفة اسرارها والعرب يا حضرة الكاتب من الذين يقال عنهم انهم (يرون بعيونهم) وهذا القول هو فلسفة (ارسطو) التى بنيت على المشاهدة والاختبار حسب ما تلقنها هو من العرب الذين ورثوا فلسفة الكلدان وكانت هذه العلوم — اعنى آراء ارسطو — سجية فيهم حتى انهم لما نهضوا بعد الاسلام اختاروا فلسفته ومالوا اليها لملائمتها لارواحهم وما جبلوا عليه من الخلق رافضين فكرة (افلاطون) التى عناها الكاتب تحت تأثير الثقافة البعيدة عن العرب والعروبة . والعقل العربي ياحضرة الكاتب اميل الى الحقائق الواقعية منه الى المعانى المجردة المبهمة التى لا تنطبق مع عنعناته وميوله . ولو ان الكاتب تبصر فيما كتب وكلف نفسه مؤونة فحص الحقائق لتبين له جلياً ان (الجمهورية) لا تكون الا فى دولة متشكلة من عناصر عديدة يتزاحم كل عنصر للسيادة بدوره وانها لا تكون ابداً

ى دولة متشكلة من عنصر واحد و بالاخص لدى العناصر السامية وهذا
تاريخ شاهد على ما نقول . لنرجع ولنحكم التاريخ حسب ميول العرب
لى آراء (ارسطو) ونبذهم الى آراء (افلاطون) وما يتخللها من مذهب
الاباحية) او (المزدكية) كما هو مسطور فى تاريخ (بغــداد) فى
العهد الفارسى) .

ان ميول العرب اتجهت الى آراء (ارسطو) لما فى تلك الاراء من
وقع الجميل على احساسات العرب وطبايعهم الموروثة وطبعاً انها كانت
نهم واليهم وقد رأى (ارسطو) فى كيفية الحكم هكذا (انه آثر حكومة
الملك فى الشعوب بشرط ان يكون اساس هــذه الحكومة هو الرعاية
لابوية التى ينبغى ان يلتزمها الملك فى حق رعاياه) ويرى ايضا (فى
لمدائن الحرة — اليونانية وجوب اشتراك الافراد فى السلطان ا بعضهم
كا فى الارستوقراطية ، وكلهم كما فى الديموقراطية . وربما آثر الحكومة
لمختلطة من هذين الصنفين) . فهذه الاراء ياحضرة الكاتب التى تمثل
شيخ العرب) فى البادية كل التمثيل هى التى جذبت قلوب العرب اليها
جعلت تلك القلوب تميل اليهــا كل الميل وتنبذ سواها . فهل يريد
حضرة الكاتب ان يخلق لنا فكراً سقيما فى عصر القوميات ؟ .

وانى لا اجد ازاء افكار الكاتب فيما نشره وما يقصد به فى النشر
لا ان اذكره بالشمم والانفة والاستنكاف من العبودية عند الاعراب
حتى لخالقهم واليك ايها الكاتب نبذة من نفسيـة اعرابى لما سأل عن
سم الرجل فقال له عبد الله ولما سأله عن اسم ابيه فقال عبيد الله ولما سأله

عن اسم ولده فقال عبدالرحمن فاجاب الاعرابى عند ذلك : اشهد انك لتلوذ بالله لواذ يتيم جبان فهلا يعتبر الكاتب العربى و يفيق من غمرة المؤثرات الغريبة لانهاض وطننا المقدس حسب الطرق المشروعة محكمين العقل والمروءة والشرف والحس المقدس ؟.

— ٩ —

بدأت حياتى السياسية فى ٧ اغستوس لسنة ١٩٣٠ وانهيتها فى ١٩ كانون الاول ٩٣٠؛ لما سحبت نفسى من ادارة جريدة (صدى العهد) ولم اكن مشتغلا فى السياسة العملية فيما مضى من الادوار السياسية التي مثلت فى العراق ولكننى قد كنت على اتصال ودى مع رجال (العهد) الذين تربطنى واياهم رابطة روحية تعمقت فى صميم الفؤاد فكنت استفسر عن حالهم اذ رمتنى الظروف التجارية فى الهند ونصبت نفسى كانني ممثل لهم فى اى مكان قمت به حتى اننى كنت ادافع عن خططهم الرشيدة — ان شاء الله — لما كنت فى الهند وقتما اشتد الخصام بين جلالة المنقذ الاول وجلالة ابن السعود فكنت بالطبع متحيزاً الى سياسة المنقذ الاول بالرغم مما يكنه صدرى من العواطف السامية الى كل عربي و بالرغم مما احمل بين جوانحى من الحرمة الى الجزيرة العربية المباركة

وجدير بى وانا ذاكر لجريدة (صدى العهد) ورجال (العهد) ان اذكر ما لمؤسسي (حزب العهد) فى (فروق) من الفضل العميم لاحياء

هذه الفكرة القومية التي انتجت (الثورة العربية) والتي لا تزال تتمخض فى (دولتنا الفتية العراقية) .

فالروح العهدية لا تزال ثائرة وهى تجيش فى صدور رجالها من آن الى آن وهذا (جعفر العسكرى) لا يزال على مبدئه القديم مبدأ الاستقلال يصرخ ويقول اعطوني جيشاً حتى تستقل البلاد وهو رجل عسكرى بمعنى الكلمة يعتقد ان روح الاخلاص والوطنيـة وسمو الاخلاق وحب التعاون وحب النظام وتقوية ملكة الشمم و واجهة الخطر وكل فضيلة تعود الى المجتمع العربي انما تنشأ فى الجندية وفى الثكنات ليس غير ولا غرو فقد قال (فون بيللو) ما يأتى : (ان العسكرية هى مدرسة العمال) .

وان كان العسكرى تلقن هذه الاشياء من حياته الجندية ونمت فيـه هذه الروح لما اسس « حزب العهد » فى « فروق » وازهرت هذه العاطفة النبيلة لما اشتمت نسيم حركة المنقذ الاول فانها روح عربيـة قديمة روح الفروسية التى اتصف بها العرب والتى كانت مثلا للفضيلة العالية والادب السامي عند رجال الغرب فى القرون الوسطى .

قدكان العسكرى رئيساً لما اسس حزب (العهد) فى (فروق) وكان مركز الحزب فى دار (عزيز على المصرى) فى (غلطه سراى) وكان المؤسسون له (عزيز على المصرى ، سليم الجزائرى ، نورى السعيد ، جعفر العسكرى ، طه الهاشمى ، مصطفى بك اركان حرب سورى ، محى الدين الجبان سورى) وفتح فرعه فى بشكطاش فى دار جعفر العسكرى

ونوری السعید وكان تأسيسه وفتح فرعه فی شهر تشرين الثاني لسنة ١٩١٣ بدأت هذه الروح الكريمة تسرى فى دم الضباط العراقيين فى فروق ثم انتشرت بسرعة بين ابناء البلاد العربية وكان « جميل المدفعى » وغيره من الضباط المنتشرين فى سوريا والعراق « سعاة » لتوزيع النشرات التى يصدرها المركز الى الناطقين بالضاد انهاضاً لما فى طباعهم الموروثة من الاستعداد الى اعادة مجدهم السابق وتحريكا لما كمن فى نفوسهم الابيـة من حب الاستقلال وتمجيد الحرية . وتذكير العرب بمجدهم السابق كاف لان يثوروا ثورة الاسود ويصولوا وهم جبارون و يقتحموا صفوف الاعداء وهم الافيال الاشاوس على حد : حرك لها حوارها تحن .

دخلت السياسة وليس عندى من حياتها العمليـة شيء وهى وعرة المسالك صعبة المنال وهيهات ان يكون المرء سياسياً بمجرد رغبة منه او ارادة تصدر منه مهما كانت تلك الارادة قوية لانها فن يكتسب بالدرس والتمرين و يقتضى لاكتسابه مرور من زمن طويل غير اننى احمل شعوراً ينطوى عليه جوانحى لوطنى العربي ابعد بكثير من الشعور الذى عناه « شاعر الثورة » فى « الجزيرة العربية » لما قال :

ولكل ربع من ربوعك حرمة   وهوى تغلغل فى صميم فؤادى

فان شعورى يبلغ مداه فى الشرق الارض التى وطأها « قتيبة بن مسلم الباهلى » ومداه فى الغرب تلك الامال التى كانت تجيش فى صدر « موسى بن نصير » والتى ارغمته الظروف القاهرة على النطق بها لما قال له « الشيبانى » . . . . . على رسلك فاني « رشيدك اليوم » .

ولو لم تقف الظروف الجبارة امام قائدنا الباسل هذا ولو لم تعترضه الاحوال التي اجبرته على التؤدة والتريث لكانت عاصمة (ماسوليني) احدى فتوحاته .

هذه هي الوطنية التي احملها بين جوانحي والتي ارعاها كل يوم وليلة من حياتي بالتفكير والامال العذبة والخيال اللطيف . والتي كلما افكر فيها اجدني سعيداً واراني سابحاً في بحر تتقاذفني امواج الامل الساحر بالرغم مما اراه في البلاد العربية من التمزيق والتشتيت و بالرغم مما اراه في العراق من تدهور مستوى الثقافة العربية وبالرغم مما قرأته عن (اللورد كرزن) حيث يقول : (يجب ان يكون الفرات حدوداً للهند) . دخلت السياسة ولم اعرف شيئاً من الحياة السياسية العملية وجل ما اعرفه نظرياً ان الاحزاب السياسية : (هيئآت منظمة ذات مذاهب معينة تعمل لاستلام ازمة الامور وتصريفها على سنن تلك المذاهب) .

وان الحزب السياسي ايضاً يجب ان يكون كما قال المستر (بالفور) عن الحياة النيابية والاحزاب السياسية بانه (قد رتب وضعنا السياسي لاحتمال ان تتخاصم) . وكنت اعتقد — ولا ازال — ان (الوطنية فوق كل شئ) فحينما تعترض امور الدولة مسألة وطنية هامة يجب ان تتلاشى فكرة تكوين رأس مال سياسي للاحزاب المختلفة ويجب على رؤساء الاحزاب ان يعملوا كما عمل المستر (بلدوين) لما زار المستر (مكدونالد) امريكا في سنة ١٩٢٩ لمفاوضة حكومتها في الاتفاق البحري حيث قال زعيم المحافظين (اني لا اسمح لنفسي بان اقول كلمة واحدة

ضد المستر مكدونالد خصمي السياسي لانه يقوم في امريكا بعمل وطني الوطن كله لا لحزبه فكل عمل يمثل فيه الوطن لا نسمح ان تدخل فيه الحزبية) .

وقد اعاد الانكليز الكرة في سنة ١٩٣٠ لما جوبهت وزارة العمال بمشكلة خطرة جداً وهي مشكلة (مؤتمر المائدة المدورة) لحل المسألة الهندية فقد اتفقت الاحزاب والصحف على مساندتها وتأييدها في الخطة التي اتخذتها لحل المشكلة الهندية حتى ان جريدة (الديلي اكسبرس) التي قاومت الحكومة الحالية مقاومة عنيفة صرحت اخيراً قائلة : (ليثق رئيس الوزراء انه في خلال المفاوضات الحرجة الخطرة التي شرع فيها بهذه البوادر السعيدة ان البلاد تتطلع اليه بثقة تامة وانه سيمثل الدور الكبير الاهمية الذي عليه ان يمثله وان بريطانيا العظمى بل الانبراطورية البريطانية كلها تؤيده ففي مثل هذه المسائل والاحوال العظيمة الشأن لا وجود عندنا للاحزاب . والرغبة في تكوين رأس مال سياسي تتلاشى بتاتاً) .

ولاجل ان يعرف القارئ حقيقة الروح الانكليزية السياسية جلياً ان تساند الاحزاب جميعها في هذه المسألة التي يعدونها مشكلة خطرة هي مسألة بين امة حاكمة كالانكليز وامة محكومة لهم وهم الهنود فكيف بمشكلتنا مع بريطانيا ايها العراقي ؟

وكم كان الواجب علينا معشر العراقيين ان نساند المفاوض العراقي لحل مشاكلنا الداخلية مع امة كانت ترى الفرات حدوداً للهند فيما مضى

وترى العراق وجزيرة العرب ورجال العرب وآمال العرب وكل ماكان ويكون فى قلوب العرب تحت رحمتها لسلامة المواصلات الانبراطورية البريطانية .

دخلت السياسة ولا عقيــدة لى الا ما ذكرت ولا مبدأ لى غير ما قصصت ولم انظر الى الاحزاب الاخر نظرة العدو لعدوه ابداً كما انى لم انظر الى من يخالفنى فى الخطط السياسية واعتقد فيه الاخلاص للقضية العربية بعين السخط بل اننى وضعت نصب عينى مسألتين كبيرتين الاولى (النغمة) التى حدثتك عنها فيما سبق و (الثانية) مصالحنا السياسية مع بريطانيا . ولا اكتمك ان تخوفى من الاولى ونظرى اليها بنظر الريب والقلق اشد كثيراً من التخوف الذى يتظاهر به الناس من علاقاتنا مع بريطانيا مع علمى الكثير عن الطرق الاستعمارية التى اتبعتها فى الهنـد والتى ارادت تمثيلها فى العراق وفى جزيرة العرب لاننى ادرى ان معاهدة سلامة البلجيك التى وقعتها المانيا وفرانسا وانكلترا فى سنة ١٨٣٠ والتى تقضى بان لا تخرق دولة من الدول عزلة البلجيك وتمر جيوشها فى ذلك البلد الامن واننى ادرى ايضاً بان المانيا وهى من الدول التى وقعت تلك المعاهدة نظرت اليها فى سنة ١٩١٤ كانما تنظر الى قصاصة عديمة الشأن ولم يتردد رئيس حكومتها الهر (بتمان هولويغ) عن القول انها (حبر على ورق) .

ولاننى ادرى وادرى الشئ الكثير عن سياسة الالمان الرشيدة لاجل تمزيق معاهدة (فرسايل) وها انا نرى (النازيين) الالمان يقولون

بوجوب تعديل المعاهدة وها انا نرى (رئيس الحكومة) الالمانية يقول اننا نحترم الحقوق ولكن الشعب والضرورة الاقتصادية وغير ذلك من الامور الداخلية الالمانية كل ذلك يحملنا على توقيف دفع ما علينا من الديون لا لكوننا لا نحب الدفع حسب العهود بل لاننا غير قادرين على ذلك .

— ١٠ —

لم تكن وجهتي بعد الذي ذكرته فيما مضى سوى التوفيق بين الاراء المتشتتة والافكار المضطربة عند الذين يقودون دفة البلاد سواء الذين فى الحكم او الذين خارجه من رؤساء الاحزاب والكتاب لانني لا اعتقد بحسن الوضع الحالى الراهن من الحياة النيابية بصورته الضخمة حسب الدستور بل انني اعتقد ان وضع حياتنا النيابية كما هى قد زاد العلة انتفاخا ان لم يكن ورما مؤلما .

لان التربية السياسية عندنا يعوزها زمن غير قليل لتكتسب النضوج بين الرجال الخاصة فكيف بها عند الاهلين والامية غالبة فيها والنزعات المختلفة تلعب بها كما يلعب الفارس بسيفه فى ساحات الوغى .

والضمير الحى والمصلحة الوطنية تقضيان على من يريد ان يأخذ بالبلاد نحو الحكم النيابي المؤسس على قاعدة (لا ضرائب بلا تمثيل) ان تبذل الخاصة كل مجهود بان تدع الاهلين ان يتمتعوا بما لهم من الحقوق

المكتسبة وان تمرنهم وتلقى فى آذانهم وتعلمهم حسن استعمال هذا الحق ولكن — ويا للاسف — قد اتخذ (الحزب الوطنى) قراراً عكس ما كان يؤمله (الواجب القومي) من تمرين الاهلين وتأهيلهم لهذه الحياة الراهنة ولكننا لو نظرنا الى الانتخابات التى جرت فى بغداد بعين الانصاف وحكمنا الضمير الحي والوجدان النزيه لرأينا ان (المقاطعة) التى اقرها (الحزب الوطنى) لم تكن من الناخبين بل من المرشحين انفسهم وهذا مما يزيد الاسى فى القلوب ومما يدمي الاكباد لوقوع حوادث مؤسفة كان القائمون بها فى غنى عن ذلك لو ملكوا رشدهم ورجعوا الى محجة الصواب .

وقد بذلت كل مجهود لاقناع المقاطعين على العودة الى الصواب وتحكيم العقل وقلت يوما الى من يدير سياسة الحزب الوطنى بجريدتهم السياسية : اما آن لنا ان نضع حداً الى هذه المنازعات السياسية ؟ فاجابنى هكذا : (ان جماعتك يريدون ولا يقدرون وجماعتى لا ينصفون) . اننى اترك الى القارى تصور ما اصابنى من التأثير عند سماعى لهذه الكلمات كما اننى اترك اليه الحكم فيه ولا اكتمك ايها العراقى ان هذا الجواب قد آلمنى كثيرا جداً فكتبت جريدة (صدى العهد) مقالا تحت عنوان (ليتهم ينصفون) جوابا موجها الى الخصوم السياسيين بسطت فيه كل ما يمكن ان يبسطه الاخ السياسى لاخيه . ولم آل جهدا فى التوسل الى اقطاب السياسة باقناع المقاطعين على ترك هذه الخطة التى اتخذوها لمجابهة الاخطار السياسية ولكنني بينما كنت مجتهداً بان اري لى نصيرا

يساعدني على اقناع المقاطعين بالوجوع الى الحياة النيابية اذ رأيتني فى موقع اشد غموضاً واكثر ابهاما واصعب منالا مما كنت اوجس الغلط فى ناحيته فقد رأيت من يركن اليه الشعب ومن استطاع ان يقنع الكثيرين من اهل البلاد بجدارته السياسية وباهليته للزعامة يخشى التصريح بما يعتقده من النفع العام ويتجنب اعلان رأيه فى الصحف خشية من غضب البعض عليه لمخالفته له فى الرأى .

وان بلاداً (لا يستطيع فيها قادة الرأى وفرسان الزعامة ومن شهدت لهم ايامهم الماضية بخوضهم المعامع الحربية فى (غاليسيا) زمن الحرب العامة ومن عرف واشتهر باصابة الرأى واستطاع ان يقنع الكثيرين بقابليته واستعداده لادارة دفة السفينة السياسية العربية فى سوريا وفى العراق يقف اثناء الاضطراب السياسى المنتشر فيها وقفة الخائف من التصريح بآراء يعتقد انها سديدة ويتجنب الظهور بمظهر الشجاع لايقاف فكرة التطرف التى يرى انها تجلب الضرر وتفت فى ساعد الحركة القومية) الجديرة بان تعالج وتداوى بادوية اجتماعية سياسية غير ما عودت عليه من اخذها العلاج الاجتماعى بصورة تزيد كثيراً على استعداد الجسم لاخذه وان بلاداً لا تستطيع ان تجد بين بنيها من اتصف بالحزم والشجاعة الادبية ومن تعتقد العامة بجدارة رأيه واصابة فكره وسداد ما يشير اليه من الارشاد الجديرة بان ينظر اليها و يبدل علاجها الاول بعلاج آخر ملائم لطبائعها وامزجتها وما فى تلك الطبائع من الغرائز الموروثة والصفات المكتسبة .

وان بلاداً لا تجد من ابنائها من يستطيع ان يلم شعثها فيما اذا نزلت بها كارثة سياسية ولا ترى الرجل الرشيد الراعي الذى يقود الرأى العام بعزم وحزم الى مواطن السلامة الجديرة بان يقضى على حياتها السياسية الراهنة وان تبدل باسلوب آخر ينجيها من التشتت ويحميها من تبلبل الافكار . واننى ازاء هذا قد كنت اشجع (زعيم المعارضة) كما اسمى نفسه بعد الانتخاب على التذرع بجلباب الحزم الذى يجب ان يتصف به القادة وان يرتدى جلباب الشجاعة التى تقتضيها الرجولية الكاملة وان ينشط فكره على الاقدام لارشاد امته على العمل المثمر والسعى الجدى وان يقف وقفة المرشد الناصح الامين ضد الرأى المتبعثر لجمع اشتات القوى وارشادها الى الطرق الامنة وتشجيعها على الدخول فى المعامع الانتخابية

بذلت كل ما استطيعه من التوسل تارة والتشجيع تارة اخرى لكى ادفعه على اعلان شئ من افكاره نحو الانتخاب حسبما يعتقد ويتكلم به ولم اقصد فيما عملته معه من ضروب التوسل والخضوع وانواع التشجيع سوى ان ارشد الرأى العام الى اتباع الطرق السياسية الرشيدة والى استعماله للحق المكتسب بينما يقوم بواجبه للمجتمع السياسى والادارى واكون بذلك قد قربت بين من يرون ضرورة اجراء الانتخاب من جهة ووجهت رأيا جديدا الى من كان يعارض به راجيا ان يعود الى الحق والرجوع اليه فضيلة .

نعم وان كان ما نشره (الهاشمى باشا) من الرأى حول الانتخاب

فى جريدة (صدى العهد) يعد من قبيل الفوز الحزبي على الحزب الاخر الا اننى لم انظر اليه من هذه الجهة فقط بل كان قصدى ان افهم (بالمرشحين الذين قاطعوا الانتخاب بانهم كانوا على خطأ وان الرجوع عن الخطأ اسلم عاقبة وآمن خطراً واعلى فضيلة من الاصرار والعناد .

اعلن فريدريك الاول ملك بروسيا لمجلس الشيوخ يوما بانه خسر معركة وان ذلك نجم عن خطأ منـه فذكر (كولد سميث) هذه الحادثة وعلق عليها بان (فريدريك) فى هـــذا الاعتراف اعظم منه فى جميع انتصاراته العظيمة . لان اصعب ما يقال هو هـــذه الـكلمات الثلاث (اني قد اخطأت) ولا يقوى على الاقرار بالخطأ الا العظيم . وكم تراني شغوفا بان ارى ابناء بلادى عظماء تهابهم العامـة و يكرمهم الاجانب و كم تراني مقدسا لمن ارى فيه عبادة المصلحة العامة مع استعمال الحق والقوة فى تعزيزها . وكم ترانى عابداً الابطال الذين لا يهابون فى الحق لومة لائم وكم تراني خاضعاً للشجعان الذين يسيرون مرة فى اعتدال ومرة فى اندفاع مستنيرين بالاحكام الرشيدة ومتسلحين بالانظار الصائبة .

وكم ترانى احترم من كان له نظر ثاقب فى معرفة اسرار الحوادث الاجتماعية الراهنة ومبلغ اضرارها وما تنتج تلك الاضرار من الخراب والتدمير .

وكم تراني اعبد من يشاركنى فى الرأى الا اننى لا اعاند على الخطأ بل اننى حينما اشعر بخطأ لا امضى فيه ابداً وارى الرجوع عنـه اسلم عاقبة واحمد سيرا .

— ١١ —

يصعب على بلادنا ان تمر عليها قضية سياسية بدون ان يحدث فيها تبلبل فى الافكار وتهييج للعواطف من قبل الفئات المعارضة وبعبارة صريحة من قبل الفئات الذين هم خارج الحكم مهما كانت خطتهم ومهما كان ديدنهم ومهما كان مبدؤهم لان فى البلاد حساً ضد الحكم ومعارضة طبيعية لكل من تسنم كراسى الوزارة . ولو ان المعارضة تبدو ممن مارس الحكم فيما مضى وخبر شؤون الدولة لتجلت فيها روح الديموقراطية الحقة لنزول القادة الى الاسترشاد بالجمهور ولمعرفة ما يحمل الرأى العام من الرضى وغيره ولانها اشراك صحيح للشعب فى ما يهم البلاد من الشؤون العامة العارضة ولو ان الذين مارسوا الحكم ثم اقصوا عنه يتروون فيما يعملون و يتبصرون فيما يكتبون ويفكرون فيما يقولون لكان الرأى العام يتنبه من آن الى آن الى معرفة الحقائق والى الوقوف على ما جريات الاحوال و بذلك يستطيع ان ينزل فيها حكمه او يحكم حسب اختباراته وميوله .

ولكن ذلك لم يكن ابداً — و يا للاسف — فان الذين يبعدون عن الحكم يصبحون ولا ديدن لهم الا الحط من شخصيات الهيأة الحاكمة فبدل ان يبدو رأيهم فى الشؤون العارضة كالمتتبعين لها حسب المبدأ السياسى الذى اقروه ومشوا عليه — لا مبدأ — فانهم يهجمون عليها بكل ما اوتوا من قوة وبكل ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

ولو تتبعت حالهم وقت الحكم وحالهم خارج الحكم ترى البون شاسعاً والفرق بعيداً بينما تراه خاضعاً خانعاً طائعاً وقت الحكم اذ تراه يتذمر وهو خارجه كان امله فى حياة الدولة قصير او كان حياته تبدو اليه قصيرة وهو يريد ان يطعم جشعه على حساب الامة التى يتظاهر لها بالخدمة وهى تقابله بالازدراء والنكران .

ومن كانت هذه حالته ومن كانت هذه خططه ومن كان هذا سلوكه فلا تستبعد ايها القارى اذا عمت الفوضى بيننا واذا سادت عندنا الاراء الملتوية السقيمة .

وكنا نستهجن جداً دخول الصبيان والشبان والاميين ايضاً فى المعارضات السياسية وفى الكتابات فى الشؤون العامة على صفحات الصحف لانه بذلك تضيع الاراء السديدة التي يبديها من خبر الشؤون العامة عملياً وهذا ما حدا بنا يوماً من الايام الى ان نقول الى (زعيم المعارضة) بخطر دخول الشبان الى السياسة ومع اعترافه لنا بعد ان القينا الكلمات عليه بقلوب متألمة اجابنا بقوله : (والمصيبة اذا استمروا على ذلك) ولكنه مع اعترافه بالحقيقة نراه يرغب الى تهييج العامة والصبيان والشبان لامور سياسية يرى فيها فائدة للمعارضة .

اننا لانلوم المعارضين على معارضتهم الشخصية كل له رأيه وكل له فكره وكل له خطته وكل له مبدؤه وكل حزب بما لديهم فرحون ولكننا نرى ان السماح والاستعانة بمن لا يستطيعون ان يجابوا الخبير لانفسهم بافكارهم واعمالهم على ان يتطفلوا على موائد السياسة خطراً عظيماً على

مستقبل البلاد وعلى الاولاد انفسهم وانى اعدها جناية كبيرة

قد يتصور السياسيون باستعانتهم بالصبيان لاغراض سياسية يجنون من ورائها نفعاً للبلاد وهب انهم نجحوا وهب انهم فازوا ولكن فاتهم انه اذا اتيح للعادات السيئة او الامور غير المرغوبة فى الانسان ما يساعدها على العمل او اختل الزاجر النفسى او خار الضابط الاخلاقى ولو موقتاً فانها تصبح عادة مألوفة لا يستطاع كبحها و يصعب صدها والخطر الذى يأتى من هذه الجهة اضر كثيراً من كل نفع يؤمل من نتائجها فى الوقت المطلوب ولهذا السبب نرى المحركين انفسهم يقعون بما يريدون ان يفعلوه مع خصومهم السياسيين ولذا عمت الفوضى فى البلاد . حتى ان زعيم المعارضة الذى تردد باعطاء رأيه السديد فى الانتخاب كان يقول لى وهو متأسف انهم يقولون عنه بانه يلعب على الحبلين وان الجريدة الفلانية كتبت عنه كذا وان فلاناً يقول بحقه كذا وكنت اجيبه بان لا باس بذلك طالما تجهر برأيك الذى تعتقد فيه الصواب حسب اختبارك وتجاربك وان من يخشى النقد لا يستطيع ان يقود الامة الى ساحل السلامة

كنت ارغب ان تقتصر المشاحنات السياسية بين الاقطاب انفسهم كى لا تضيع علينا الحقيقة ونحن حديثو عهد بالشؤون العامة وكنت استشير هذا وذاك بما لا نعلمه من الحوادث وبما نجهله من الشؤون العارضة ولكن التيار قد جرفنا الى شاطئ بعيد حتى خلنا اننا بوادي والمصلحة الوطنية بواد آخر

و بلغ من نزق الشباب ومن خطة سياسة المعارضة ان ثار بركان سياسي في البلد يقذف النقد بحجارات مميتة من فوهته فانبرى (جعفر العسكري) لتوجيه كتاب عاتب فيه (ياسين الهاشمي) على سياسته في الحكم وسياسته خارج الحكم اظهور التباين بينهما وقدنشر كتابه في جريدة (صدى العهد) اما انا فقد سررت جداً بدخول (العسكري) نفسه في المعمعة والملاكمة مع خصمه السياسي بواسطة الصحف لانني اعتقد بذلك اننا دخلنا الحياة الديموقراطية الحقة لان الزعماء كليهما احتكما الى الرأي العام وهذه عادة جارية في ارقى بلاد الله ديموقراطية كبلاد الانكليز وقد عددت ذلك تقدماً في حياتنا السياسية بحكم الانظمة التي اختاروها العراقيون او بعبارة صحيحة حسب الانظمة التي اختارها المشرع للدستور لان الاحتكام الى الرأي العام ولو بصورة ابتدائية سوف يأخذ بنا الى رفع مستوى المنافشات السياسية بان يكون هو المحور الذي تدور عليه الاعمال والمبادىء والمشروعات والنظريات بدلا عن الاشخاص ونكون بذلك ايضاً قد نجونا من تداخل الصبيان الذين لا يعرفون انفسهم وقيمتهم في المجتمع السياسي :

ولكن خاب ظننا وانقطع رجاؤنا من كل امل كنا واثقين من الحصول عليه بهذا الاحتكام ومع ان مندوب جريدة (الزمان) الذي واجه (الهاشمي) مستفسراً عن بعض النقاط التي يهم الجمهور الاطلاع على رأي زعيم المعارضة (كذا قالت الجريدة) نرى الجواب خلواً من اي اعتبار للجمهور . ولم يكتف (الهاشمي) بان لا يكترث بالجمهور بل

اظهر انه لا يكترث بالكتاب الموجه اليه كان لا قيمة له فى نظره حيث كان جوابه: لم اقرأ الكتاب الذى تذكره . ولا ارى الرد على كتاب جعفر باشا — انظر الفرق بين نظر صاحب الجريدة من ان الاطلاع على الجواب يهم الجمهور ورأى الباشا بحق الكتاب — ثم اراد التملص منه بعد الحاح من المندوب فقال : اننى اسمع ان جعفر باشا العسكرى مريض . ولا اظن انه يقوى على الكتابة . فلا ادرى من كتب هذا الكتاب الخ . . . . . ونشرت له (صدى الاستقلال) ايضاً جواباً ولكن الجوابين لا يخرجان عن سؤال العسكرى اليه بانك فعلت وجواب الهاشمي بانك قلت .

حقا ان الفائدة الحقيقية التي كنت اتوخاها من نشر كتاب (العسكرى) لم اجد لها جوابا يشفى الغليل كى يحكم الجمهور عليهما معاً وكان جواب (الهاشمى) مبتوراً جداً وغير جدير بارباب السياسة سيما لرجال يعدون الناس بالمعارضة فى المجلس النيابى ويمنونهم بالدفاع عن حقوقهم ثم شعرت بان لا قيمة للجمهور فى نظر الهاشمي وانه يرى ان الجمهور هو رهو الجمهور فذهبت للعسكرى لارى رأيه فى الجواب ولكننى رأيته قد جهز بالكتاب الثاني الى خصمه السياسى فاخذته وانا ممتن بهذه الفاتحة التى اعدها بابا حسنا لما قدمنا من الجهتين .

اعطيت الكتاب للطبع وواجهت الهاشمى باشا ليلا وقد اخذت اعاتبه على كيفية اجابته للكتاب قائلا له كنت اود ان لو يكون جوابك افصح عما نشر او انك لا تجيب عنه فقال عجيب قد نشر الكتاب ونحن

فى معركتنا الانتخابية قد حمى وطيسها وتأجج نارها و وقعت بين امرين ان سكت تكونون غلبتمونى وان اجبت اكون خسرت المراجعين الى بشأن الانتخاب فقلت له على كل كنت ارجو ان يكون الجواب اوسع مما نشر وحيث ان الجواب لم يكن كافياً فسترى غداً (الكتاب الثانى) . ولما سمع بالكتاب الثانى وانه سوف يظهر غداً رجا منى ان لا افعل ذلك وان اسد هذا الباب لانه ربما يثير فى القلوب بعض الحقد كما ان لديه وثائق يستطيع بها ان يبرر موقفه وان يصون مركزه فكان جوابي اليه : اننى لا ارى من نشر هكذا كتب مع اجابتكم عليها شيئاً مما تذكرونه بل اننى اراها مفيدة ليراها الرأى العام و ينزل فيها حكمه حتى تستريح الناس من هذه الفوضى و يسكن اضطراب الاهلين من جراء الحوادث السياسية التى تقع منكم — السياسيين جميعاً — و بسببكم والفائدة الاخرى ان نستريح نحن من تداخل المتطفلين على السياسة فيما اذا انحصر الجدال بين الزعماء .

هكذا كان رأيي فى مسألة الكتب التى تبودلت بين الزعيمين وكنت اتمنى ان لو تبقى الكتب خالية من الكلمات القارصة وان يبقى البحث محصوراً حول النقاط التى وجهت وان يكون محور الجدال يدور حول الاعمال والمبانى لا اقل ولا اكثر ولكن مع الاسف قد تعدت ما كنت اؤمله كما ان المتطفلين قد تداخلوا بالامر حسب عاداتهم .

وقد كان لنشر كتب العسكرى واجابة الهاشمى تأثير حسن لدى المتتبعين للشؤون العامة كما انها اثرت على سير الانتخاب فى بعض المناطق والهت

الناس عن الافتكار فى مسائل شتى من ضروب السياسة وحصرت البحث حول هذين الزعيمين واعمالهما الماضية ولا اكتمك ايها القارىء انى قد شعرت بارتياح من هذا العمل لاننى اعتقد ان سبب الفوضى عدم جدارة الزعماء لهذا المنصب الخطر الذى عرضوا انفسهم وطوحوا بها اعتقاداً منهم بان بمجرد قول يصدر منهم يقيم البلاد ويقعدها ولكن الناس يعرفون ذلك ويريدون غير ما يريده الزعماء يريدون الارض الخصبة المرعى ويريدون شاطىء السلامة للسفينة فاين الراعى الصالح ؟ واين الربان الخبير ؟

بلغ من تطرف الزعماء والغلو فى مقدرتهم بل والاعجاب بانفسهم حداً لا توافقهم عليه العامة ابداً لانهم لم يعتدلوا ومن لم يعتدل لن يستطيع ان يرضى الناس جميعاً .

نشرت جريدة (صدى العهد) ولم تكن ترسل الى مدن الفرات كلها فورد الى كتاب من بائع الجرائد فى احدى المدن يقول : (ان الناس ترغب ان ترى اقوال الطرفين المتنازعين فى السياسة وحيث ان صحف المعارضة لا تنشر سوى اقوالهم والناس ترغب الى معرفة القولين وتتلذذ برؤية كلام الجهتين لهذا يرجو ان ترسل له الجريدة لبيعها ثمة) فبالله عليك ايها القارىء حكم ضميرك الطاهر ووجدانك الحر وتجرد من كل عاطفة حزبيـــة واحكم على مبلغ شعور الاهلين نحو حبهم للحقائق وانظر مبلغ الانصاف اوجب الزعماء لارشاد الاهلين ومن لا ينصف الناس ظلموه ! . . . . .

-١٢-

لم الان فى خطتى السياسية التى مرت على ايام (المعاهدة) كالمؤمن فى كل تفرعاتها والمحبذ لكل ما فيها من التفصيلات لاننى كما قلت حديث عهد بالسياسة واننى بحاجة ماسة لمعرفة التطورات التى مرت على العراق سياسياً ولكثرة اسفارى الى الهند جعلتنى فى مركز بعيد جداً عن التطور السياسى وعن دخائل الامور كما ان اقامتى المتقطعة فى العراق لم تزودني المعلومات الكافية للوقوف على حقائق الامور .

بيد ان الرابطة الروحية التى تربطنى مع رجال العهد تدفعنى ابداً ودوماً الى جهتهم وتراني بين الناس نصيراً لهم ومناضلا عن مبادئهم وهذه عقيدتى طيلة الايام الطوال التى سبقت اشتراكي الفعلى فى السياسة العملية سواء فى العراق او فى الهند ولكنني كنت معتزلا وكنت مشتغلا فى تجارة الخيل بين العراق والهند وبعضا فى اشغال اخرى وعزلتى عن التداخل فى شؤون العراق العامة حببتنى الى كثير من الاهلين كما ان دخولى فى السياسة العملية قد اساء احبابى واصدقائي سيما فى زمن يقال له (زمن المعاهدة) او (زمن الاحتلال) او (زمن الاستعباد) واننى لا افهم مايفهمه الناس عن التطور الذى نشأ بواسطة المعاهدة الى احتلال واستعباد كاننا كنا مستقلين نتمتع فى بحبوحة الحرية ورفاهية الاستقلال علماً

وثقافة وادباً واخلاقا واقتصاداً وسياسة . انني لم اجد من ذلك شيئاً فيما مضى كما انني لم اجده الان واذ ابقيت الاوضاع كما هي الان سوف لا ندركه في المستقبل ولكن الامل هو الدافع والرجاء هو الحاث وحسن ذكريات المستقبل هو الوازع الى تنشيط القوى واشحاذ الفكرة وتحريك الايدي و بالتالي الى الاقدام والمجازفة حتى بالارواح .

ولم اكن مستعداً لان اكون صحافياً كما انني لم اجد في نفسي اللياقة والجدارة التي تطلبها مهنة الصحافة خصوصاً لسياسة حزبية والناس كما وصفناهم لك فيما سلف ولكن الرابطة الروحية دفعتني من حيث لا ادري وقذفتني في احرج وقت يتعاطاه ارباب المهن الحرة زمن الازمات خصوصا لرجل جمع بين مهنتين تجارة الخيل ونصب مضخة المزرع في سنة ١٩٢٩ فكنت مقامراً في كل اشغالي حيث اصبحت مهنة الخيل الحرة مقامرة — للسباق فقط — بعد ان كان يتعاطاها ابي تجارة واصبح الزرع مقامرة في سنة ١٩٣٠ لاتباع روسية لنظام السعرين وما يقال عنه في اللغة الافرنجية (دومبينك) او (الاغراق) حسب اصطلاح الجرائد من وجهة قانون (العرض والطلب) وكنت ايضا مقامراً في السياسة ايضا لانني جازفت في وقت اعده في نفسي حرجا جدا .

ولكنني مع هذا وذاك سعيت كل السعي و بذلت كل الجهد لمعرفة ما في (المعاهدة) من المنافع والاضرار من رجلين اعتقد بكفاءتهما السياسية لخبرتهما للشؤون العامة منذ سنين وقد كان اتصالي بزعيم المعارضة (ياسين باشا الهاشمي) متينا جداً منذ نشأت الجريدة حتى انه

لم يمر يوم الا ونلتقى وكنت استعلم منه الشى الكثير كما انه لم يبخل على بشىء مما كنت اسأله عنه وكان يرشدني الى مسائل اجهلها الى ان فرقت الخطط السياسية بينى وبينه ولسان حالى يقول :

وكنا كندماني جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
ولما تفرقنا كانى ومالكا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ولم اكن طول اجتماعى معه الا كما يقف التلميذ امام معلمه فقد اتفقنا معا على حاجة البلاد الى الثقافة فى سبيل الوحدة العربية العامة واتفقنا ايضا على ضرورة توحيدها فى الاقطار العربية واتفقنا ايضا على بث فكرة التزاوج بين السوريين والعراقيين من جهة والعراقيين والنجديين من جهة اخرى لتكون الرابطة متصلة بين البلاد العربية التى فرقتها سياسة اوربا الغاشمة القاسية واتفقنا ايضا على ضرورة اجراء التسهيلات المصنوعات العربية فى الاقطار العربية الاخرى واتفقنا ايضا على ان وضعنا السياسى يشبه وضع بولونيا قبل الحرب العامة وانه اذا حكمنا الروابط التى ذكرناها وجعلنا الحلقات متصلة بعضها ببعض والعرى وثيقة نكون قد مهدنا السبيل لى طارىء عام يطرأ كما حدث فى سنة ١٩١٤ لبولونيا .

نعم قد اتفقنا على ما قدمناه لك ايها القارىء واتفقنا ايضا على ان المسائل الاقتصادية يجب ان تسبق المسائل السياسية وانه لا يكون استقلال سياسى ما لم تسنده حياة اقتصادية مستقلة ولو شيئاً قليلا ولهذا كان اهتمامنا فى المسائل الاقتصادية كثيراً .

قد اتفقنا على كل شىء حتى على (تصديق المعاهدة) ولكن الاختلاف

بدأ فى الطرق التى يجب ان تتبع لنوال العراق من الوجهة السياسية مركزاً اعلى من المعاهدة ذاتها وبعبارة صريحة لاجل ان يكون مركز الوزارة التى تأتي بعد المعاهدة قويا امام خصومنا الانكليز .

اننى حديث عهد بالسياسة فقد اكون مخطئا فى اختلافى مع زعيم (المعارضة) من الوجهة السياسية وقد اكون مصيبا من الوجهة القومية على ما فيها التربية السياسية والاخلاق العامة ولهذا رأيتنى فى مركز حرج جداً عندما علمت بالخطط التى يراها (زعيم المعارضة) فى (تصديق المعاهدة) لانه يسوقنى مخالفته وعدم الانقياد اليه كما نه ساءني جداً ايضا ما يراه فى الخطط السياسية التى ارى ضررها اكثر من الفوائد التى تجنى بواسطتها وهكذا لقد صح القول (قاتل الله السياسة ما دخلت فى شيء الا وافسدته) .

لنقف هنا قليلا ولنرجع الى ما رأيناه من الذين ذكرنا لك خطبته فى المجلس التأسيسى والذى نعتناه بالسياسى المحنك (ناجى باشا السويدى) فاننا لم نجد منه عند اجتماعنا معه فى داره اكثر مما نشره فى الجرائد حول المعاهدة وانه وايم الحق قد نقدها كرجل اختبر الشئون الماضية ومارسها بعلم واسع وجدارة صائبة كما ان النقد الذى كتبه لم يخرج به عن خطة السياسيين الغربيين كالانكليز مثلا فانه لم يحد قيد شعرة عما اعتقده ولم يخرج ابداً عما رآه من النقاط الضعيفة التى يجب تداركها قبل ان ينتج من غموضها وابهامها مثل ما نتج من الجدل بين الحكومة الوطنية ودار الاعتماد حول تفسير بعض نقاط المعاهدات السابقة وهو

بانتقاده ايضا ذكر المفاوض العراقى بيعض الاشياء الماضية حول هذه النقاط ثم ابدى لنا تخوفه من مقدرة خبراء الانكليز السياسيين المتخصصين فى لندن على وضع نصوص مطاطية تضع كفة الرجحان دوما بجانبهم . وان هؤلاء المتخصصين بعملهم هذا ربما يعقدون الاسس التى بنيت عليها المعاهدة بادئ بدء ولهذا طلب من المفاوض العراقى الاستفسار عن النقاط الغامضة .

وقد تبين لنا بعد ما قرأناه له فى الجرائد وسمعناه منه شفهيا انه رجل حكومي بمعنى الكلمة وانه (سياسى لبق) يستطيع بذكائه وقدرته واختباره ان يحل المشاكل السياسية والمعضلات العامة ان استطاع الى ذلك سبيلا .

كما انه صرح لنا كما صرح ايضا من قبله زعيم المعارضة بان ما فى يد الوزارة الحاضرة من الاعمال قد كان بيدهم ومن اعمالهم بنسبة الثمانين الى المائة وبهذا نكون قد حصلنا على ما يطمئننا على المشى فى خطتنا التى اتبعناها — كما وصفها لنا البعض — (على طول) ولهذا قد كنا (طول هذه المدة) غير مكترثين بما يكتبه الغير سواء عنا او عن اصحابنا لاعتمادنا على اقوال هذين الزعيمين .

-١٣-

كان (زعيم المعارضة) يزور ادارة الجريدة يومياً على الاغلب وكنت ازوره فى داره ايضاً لعدة امور اولا احتياجي الى معرفة اشياء عن امور

الدولة والسياسة التي اجهلها وثانياً احترامي له واعتقادي بكفاءته ومقدرته السياسية وخبرته الطويلة للشؤون العامة وكنت في كل ذلك واشهد الله عليَّ اتوسم جمع الكلمة وتوحيد القوى والتساند لكي نخرج من هذه المعمعة ظافرين، سواء اكان بتصديق المعاهدة او رفضها او تغيير شيء من ذلك او الحصول على عهد جديد ومهما يكن من النتائج فقد كان الرأي توحيد الصفوف التي اعتقد و يعتقد الكثيرون من اصحابي بضرورة ذلك .

ولم يكن (نوري السعيد) حاضراً وقت ظهور الجريدة كما انني لم اكن مطلعاً على مـا يجرى من المسائل التي ادت الى ضرورة اصدار جريدة وتأسيس حزب جديد فقد كنت اذ ذاك في (مزرعتي) بعيداً عن المدينة وقد اقمت في سفرتي الاخيرة هناك ما يربو على الشهر ولهذا بقيت في عزلة طويلة حتى قدمت بغداد ورأيت فتياناً يجتمعون في محل لم يكونوا يجتمعون به من قبل و كنت اجتمع به مع اصحابي دوماً وسمعت اللغط الكثير عن المعاهدة والوزارة وطبعاً ظهرت (النغمة) التي هي وليدة (تاريخ العراق السياسي) والتي اتخوف منها كثيراً والتي تتجسم لي بشبحها المخيف كلما تلفظ بها احد او رمز اليها رامز .

ولم تكن لي اية رابطة او مبدأ فيما مضى مع هؤلاء الفتيان كما انني كنت غير معتقد بان سياتي يوم من الايام نجتمع معاً ونقرر سياسة رشيدة لامور حزبية كحزب العهد .

ولكن الذي قفني لى الحياة الجديدة من حيث لا ادري

(جميل المدفعي) الذي ذكرني باجتماعي واياه قبل الحرب في مدينة (بيروت) بسبب توزيع نشريات كانت مرسلة الي (من الاستانة) من (السمسار) وكان (السمسار) ذاته حاضراً معي وقت التذكير وانها وايم الحق لذكريات جميلة تدفعني الى بيع الحياة والتي طالما اتغنى بها في حلي وترحالي والتي صرفت الاوقات الثمينة لتعزيزها وتنميتها وبثها بين من اجالسهم واحادثهم مستمداً من تاريخها القديم ومستنداً على ما في الشعب العربي من الاستعداد الطبيعي الى تحقيق هذه الفكرة بالرغم عما اعتراه فيما مضى، بالرغم من العوائق التي وضعت ضد تحقيقها في الحاضر

وقد اجتمع في وقت واحد عاملان لدخولي في الحياة السياسية خوفي من (النغمة) والارتباط الروحي برجال (العهد القديم) الذي امثل فيهم وارجو بسببهم تحقيق الفكرة وبلوغ الامال .

ظهرت الجريدة مصدرة (باسمك اللهم إله يعرب) فقابلتها احدى الجرائد التجارية (العالم العربي) بكلمات قارصة ثم اعقبتها جريدة (الزمان) التجارية ايضاً بكلمات شديدة ضد الوزارة

وبعد هذا الذي ذكرت كنت اؤمل ان نتكاتف مع المبرزين من ابناء البلاد سيما (زعيم المعارضة) الذي كان يزورني وازوره واستشيره ويزودني بما لديه من المعلومات والاراء ولكنني كنت استعطفه كثيراً بان يدخل معنا و يكون الاب السياسي للجميع

فاتحني ذات يوم برغبته الشديدة الى اصدار جريدته (نداء الشعب) واخذ يعدد الاشخاص الذين من المحتمل ان يساعدوه في ادارتها فلم

يعتمد على احد ابداً لسبب يعلمه ويحق له ذلك

وبعد كلام طويل وسكون عميق سألته ما الحاجة الى اصدار جريدة وانت تعلم حق العلم ان لا مسيطر على الجريدة هذه سواى وافتكر انني مستعد لارضائك كما انني اتعهد اليك بانك لو اشتركت معنا لرأيت منا ما يرضيك !

شعر من كلامي هذا الصدق فى القول والاخلاص فى العقيدة فقال كيف وانكم لم تتركوا شيئاً لغير الوزارة الحاضرة من الاعمال الم نكن من المشتغلين بالاعمال الحاضرة لما كنا وزراء وقد تم على يدنا ما يقارب فى المأة ستين وربما قال ثمانين ؟

فاجبته بابتسامة ادخل معنا وشاركنا فى العمل وانني اطمنك بأن اجعل لك ثلثى الفضل ولجماعتى كلهم الثلث .

ختمنا الكلام فى ذلك اليوم بشتى الاحاديث على العادة وربما استعلمنا منه بعض الاشياء ولكنني كنت اشعر بشيء يجول فى خاطره وقنعت بعجزى عن معرفته وان لديه من الاسرار ما لا يعلمها الا الذى فطر السموات والارض . وان لديه من الخطط السياسية التى يود ان يبسط بكلتا يديه على كل الحركات السياسية التى تكون فى العراق وهى كما وصفناها لك فيما سبق (مجتمع النقيض) وانني اورد لك مثلا عما عمله معى لاجل الحزب الاخر لما اشتد الخصام السياسى .

لما نشر (الحزب الوطنى) منشوره الذى قاطع به الانتخاب كنت اعلمت النقاط الضعيفة التي بالمنشور واخذت الجريدة توجه الانتقاد

على ذلك واستشهد المنشور لاجل تبرير المقاطعة بعمل (غاندى) فى الهند و بينت له بوقته ان هذه نقطة ضعيفة سوف احمل عليها وعلى المستشهد بها حملة شعواء وشرحت له كيفية ذلك وكان يحرك رأسه عند كل كلام يصدر منى حول الموضوع هذا كما اننى اعلمته بانه سوف تنتهى الحملة فى اليوم الفلانى .

انقطع عن الزيارة يوم نشر الكتابة واشترك بكونه (رئيس حزب الشعب) الذى يمثله وحده لا شريك له مع (رئيس حزب التقدم) الذى يمثله (ناجى باشا السويدى) وقدما احتجاجا الى الوزارة ضدى فيما كتبته من الهجوم الذى تصوره شديداً وقد عمل ذلك كله مرضاة للحزب الوطنى ولمن يسانده من الرأى العام الذى ينفر من كل حكومة مهما كانت صبغتها ومهما كانت مبادؤها ومهما كانت نيات القائمين بها واننى اعلم كما يعلم اصحابى ان المسبب لهذا الاحتجاج هو ذاته وطبعاً انه بعمله هذا قد استاء اليوم من شىء استحسنه بالامس او انه كتم عنى اشياء لما صارحته بنقاط النقد او انه رضى بالانتقاد الذى كان شديداً — وانى آسف على ذلك الان — ولكنه عمل الاحتجاج ليستفيد منه . ومهما يكن من الامر فقد عاتبه (السمسار) على عمله هذا ضدى قائلا له اتعمل مع (فلان) هكذا ! ولكنه رجل غامض وعلى غموضه رجل لا يبالى بشىء ولا يهتم لشىء فكان جوابه منطوياً على كلمات تنم ان لا قيمة لما فعل وانه يجب ان لا نعير العمل اهتماماً او نبنى له حساباً وكان جواب وكيل رئيس

الوزراء يومئذ (جعفر العسكرى) للمحتجين انه : لكل رجل رأيه فيما يعتقد وان (فلانا) كتب ذلك عن عقيدة كما انه يشاركهم بان اسلوب الكتابة كان شديد اللهجة ثم طوى الكلام .

عاد (زعيم المعارضة) للزيارة على عادته السابقة وعدت ازوره واستشيره حسب العادة وكتمت كل شئ يفهم منه تأثرى من عمله هذا وقلت فى نفسى اسأل الله ان ينجينى مما وقعت فيه وان يلهمنى الصبر وان يرشدني الى مواطن الصواب وان يجعل من عملى هذا خيراً لتحقيق ما كنت اتمناه فى صباى وما عودت نفسى على تحقيقه فى حياتي وما ارجوه من الخدمة الصالحة للسلف الصالح .

-١٤-

قدم (نورى السعيد) من لندن وذهبت لزيارته ثاني يوم وصوله وبينت له ما دار بيني و بين (زعيم المعارضة) من الكلام وما قدمته له فيما اذا دخل معنا فكان الجواب : اذهب وقدم له كل الفضل وقل له ان فلاناً يتنحى عن كرسى الرئاسة لاجله وهو معنا وابو الكل .

واجهت (زعيم المعارضة) وانا جذل بما اخذته من الوعد من (نورى السعيد) الى (ياسين باشا الهاشمى) وكنت احسبنى قد ادركت ما اتمناه من توحيد الصفوف وجمع الاشتات وتمركز القيادة ولكن الامر قد انعكس لما تكلمت مع (الهاشمى) وفاوضته بما دار بيني وبين

(الجندى الصغير) ورجوت منه ان يقبل ذلك قائلا له قداتممنا ما علينا من الواجب فهلم الى العمل المثمر ! فكان جوابه : قد بدى منى كلام ضد المعاهدة فلايمكنني الدخول بالوزارة الان — وكنت اجهل انا ذلك حيث كنت اذ ذاك فى المزرعة — ولكنني معهم واشاركهم فى الرأى يد ان لى رأياً حول تصديق المعاهدة اذ يظهر لى ان (رئيس الوزراء) عازم على تصديقها با كثرية ساحقة وان فى ذلك ضرراً من الوجهة السياسية تجاه خصومنا الانكليز حيث يتخذون ذلك كدليل اضعفنا . والمصلحة تقتضى تصديق المعاهدة با كثرية ضئيلة من قبل المجلس النيابي مع مقاومة الرأى العام وذلك بتهييجه وتحريكه حتى اذا اتت وزارة اخرى بعد التصديق تجد ليناً من قبل الانكليز وتكون فى عملها متمتعة بنوع من الحرية لمعاضدة الرأى العام لها وبذلك يخشى الانكليز مقاومتها او عرقلة مساعيها . . . . . . نعم ! تصديق المعاهدة لانه قد كان شاكا ببعض موادها فاقنعه (الجندى الصغير) — حسب كلامه لى بالوقت نفسه — بما يزيل عنه الشكوك و يدفع الابهام ولكن با كثرية ضئيلة والرأى العام لدينا جاهل بذلك فينشطر الناس الى شطرين بنظرهم و يكون (عبدالرزاق الحصان) من حزب الخونة ويكون (الهاشمى) من حزب الوطنيين و بعد ذلك يشكل (الهاشمى باشا) الوزارة و يفعل حسبما يريد فى البلاد والناس لا يدرون بذلك .

لكل شئ من النظم والخطط السياسية حسنات كما ان لها سيئات ولكن قبل البت فى ذلك يجب وضع الجهتين فى كفتى الميزان ثم يرى

بعدذلك هل تزيد الحسنات على السيئات ام السيئات يغلبن الحسنات وهكذا علمنا القرآن حيث يقول: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما منافع للناس ولكن اثمهما اكبر من نفعهما) اما ما دار بيني وبينه من الكلام حول ما رآه فقد كان من قبيل الاستعطاف للاضرار التي تنشأ من العمل نفسه اولا: ان الانكليز يعرفون الحقائق لاكثر مما نعرفها وثانياً اننا نعلم الناس على التضليل بدل ان نصارحهم ونكشف لهم الحقائق وثالثا ان الناس لا يفهمون من عملنا هذا المناورة السياسية بل يفهمون الخصومة السياسية بمعنى العداء وبذلك رضينا لانفسنا ان نلبس ثوب الخيانة. وعلى كل فقد ارتبت حتى فى نيات (زعيم المعارضة) وقاومت ذلك بشدة وقد شرحت كل ما دار بيني وبينه من الكلام لاخواني الذين اعتمد عليهم وقر رأينا على مقاومته بكل ما لدينا من حول وقوة .

ولم اذخر الجهد فى بذل ما يستطاع من الحجج والبراهين معه على ان الخطة التي يعقبها غير محمودة العاقبة لاننا ان استفدنا من جهة كما يدعى فاننا نضلل الشعب من جهة اخرى وبذلك نكون قد ارتكبنا الخيانة والشعب غافل لا يدرى القصد الحقيقي من هذه الحركة ثم اضفت الى ذلك عدم استقامة الاشخاص الذين يعتمد عليهم فى العمل هذا وذكرته بما تأصل فى قلوب الناس من الشك والارتياب وعدم الايمان فهم لا يتجهون الى جهة ابدأ بل يدورون مع الهواء حيثما دار وقد اعترف بذلك ولا غرابة فيما اقول فهو نفسه ايضا كان على تلك الحالة فبينما يزورنى وازوره فى النهار تارة وفى الليل اخرى اذ اراه مع مدير ادارة

الجريدة الناطقة بلسان الحزب الوطني ليلا ومتكتما حتى انه بدت عليه علائم الوجل لما شاهدتهما على تلك الحالة واشار الى رفيقه بعصر يده — حيث ذاك لم يرني — طالباً فراقه كي يكتم عنى ما شاهدته منهما ثم اجتازنا الهاشمي وحده بعد ان سلم على وعلى رفاقى الذين كانوا معى .

ولم تفت هـذه الرواية على من كان معى من الاشخاص حتى قال لى احدهم والله اننى لمستغرب من حالة الزعيم فى اعماله هذه وانه قـد غسل ما كان فى قلبه من الاحترام حيث كان يحمل له منه الشيء الـكثير وابدى اسفه على ما وقعنا فيه من حالة عدم الاستقرار واخـذ يتكلم جهاراً على وقلبي يدمدم تعساً لك ايها العراق ! فقـد كان (نيرون) اشجع من كل ابنائك الذين سلمت زمام الامور بيدهم ذاك (يحرق روما) لانه يحب ان يرى لهيبها وابناؤك جبناء يحبون ان يروا (لهيب روما) ولـكن لا يقدمون على ذلك بايديهم فهم يوغرون الغير لعمل كهذا حتى يروا لهيبها .

وذاك الذى احرق روما انبل بكثير من هؤلاء فانه احرقها لانه يريد ان يمتع ناظره بذلك اللهيب وابناؤك ايها العراق المسكين يريدون ان يروا اللهيب وهم يبكون عليه .

ومع هذا وذلك فاننى لم اقطع الرجاء خشية ان يحدث ما لا تحمـد عقباه من نتائج الانشقاق ولـكن الحزم والحيطة التى ابدتها (وزارة نورى السعيد) قد قضت على آمال المتظاهرين بالوطنية سيما وان الامر قـد شاع بين الخاصة ما كان يحاوله (الهاشمي) من المعارضة المصطنعة

المتجسمة فى الشخصيات ليس الا وقد شاهدوا باعينهم اللين والاستعطاف وما يبديه (نورى السعيد) امامهم من قبوله لتحكيم الخاصة من جهته والشدة والغلظة التى كانت تبدو من زعيم المعارضة ولكن هل كان ذلك فى سبيل الوطن ولاجل الوطن اللهم لا ! . . . . . وبعد كل ما شاهدته من الطرفين غلبتنى (روح الحزبية) وانقلب الامر بيننا بعد ان كان كما وصفناه لك فيما سبق اذ صار متجها نحو المقاومة واحباط كل عمل يبديه سواء كان من عمل المظاهرات كما يرتأيه او من جهة اصدار (الفتاوى) التى كانت جلها مسبوقة بانتقاد رجل افرنسى ترجمته (جريدة الاحرار البيروتية) ولما شعرت بما كان ينويه من عمل هجوم علينا عزمت على نشر كتابة الافرنسى قبيل الانتخاب ثم تأخذ الجريدة فى الرد عليه وتكتب عدة مقالات حول الموضوع ونكون بذلك قد سددنا عليهم هذا الطريق ولكن (السمسار) لم يوافقنى على هذا الرأى الذى عده مبتسراً وقد كان ما كان من الهجوم قبيل الانتخاب بيومين .

- ١٥ -

ان لنجاح الزعامة عدة اشياء اهمها الصراحة والمبدأ والتضحية ومن كانت به هذه الصفات التى اعدها رئيسيا لبلادنا فانى لا اشك بنجاحه ابداً نعم ان على الشعب ايضاً واجبات تجاه ما ذكرنا وحيال من ذكرناهم واهمها اجابة داعى الوطنية وترجيحها على المصلحة الذاتية وهذه

لا اكاد اجدها بين المتعلمين – عدا العوام – وقت اشتغالى فى الحياة السياسية العامة ولكننا امام هذه الاشياء نقع تحت امر لا مندوحة من الاباحة به وهو ان العراق لم يجد بين ابنائه زعماء يقودونه الى الارض الخصبة ابداً وان عدم وجود هكذا اناس قد اثر تأثيراً سيئاً فى العامة فاصبحت الشقة بعيدة والفرجة واسعة . قال لى (زعيم المعارضة) يوماً ما لك تلح على فى الدخول معكم اما تخشى ان افرقكم ؟ . . قال هذا وكانت تعلو شفته ابتسامة واننى ما فطنت للسبب بوقته واريد ان ابقى ساكتاً عن تفسيره وادع الحكم للقارئ . . . . . .

مما لاشك فيه ان اختلاف الثقافة العراقية وعدم وجود حلقة تربط بعضها ببعض وكانت من العوامل التى ادت الى وجود ما ذكرناه .

وان الوزارات الوطنية على اختلاف خططها لم تعر ذلك التفاتاً وكان من نتيجة ذلك ان نالوا جزاء اهمالهم وعوقبوا على ما جنته ايديهم فكان لهم من الشعب الصدود وكان لهم من الامة النفرة وكان لهم من الرأى العام عدم الثقة والاعتماد .

قامت فى البلاد عدة احزاب ونظمت لها الخطط ونشرت الدعايات لاجلها ولكن ما كانت النتيجة ؟ . . . . . هل استفاد الوطن منها بشئ ؟ هل قامت بعمل يذكر لها بمداد الفخر ؟ اللهم لا ! . . . امر بسيط الحل هذه المشكلة واعنى بها شكلة الاحزاب لان الاحزاب لا تقوم بخططها السياسية فحسب بل بالروح التى تسندها والتى تجرى وراءها . اذن فاين تلك الروح ؟ . . . اللهم لا ادرى .

ولكنك لو سألت افراد الشعب واحداً بعد واحد وقلت لكل منهم : هل لك ان تأتيني بخمسة اشخاص تثق بهم وتعتمد عليهم وتوكل امرك اليهم ؟ .... انا واثق بان الاجابة سوف تكون لا ! ولماذا ؟ ... لانه يعلم بشعوره الطبيعي عـــدم وجود الاشخاص الذين طلبتهم منه .... واذن من المسؤول ؟ ... هل الشعب ؟ كلا ثم كلا ! ...

انا لا اعتقد بان من صالح البلاد تعدد الاحزاب ابداً وانا لا اعتقد كما اني لا احسن الظن ابداً فيمن يرى ضرورة عمل المناورات السياسية . لاننا نكون قد خدعنا انفسنا ان لم نعترف بالحقيقة ونقول اننا نجهل انفسنا ومن جهل نفسه فجزاؤه .....

امة كما وصفناها وقوة انكليزية لها رأى فى مصير البلاد كما ذكرنا وجارتنا ايران ذات العلاقات القديمة المشتهرة بالتاريخ ووضع جغرافى يجعلنا تحت رحمة المجاورين ان لم نكن نحكم السيف كما حكم ذلك اباؤنا العرب .

انا لا اعتقد ويحق لى ذلك لانني عربى ولانني من العنصر السامي ولانني نشأت على شئ لا يعرفه ولا يشعر به ولا يشاركني به الا من عرف تاريخه الذى يصل الى سنة ٦٠٠٠ ق م ولا يشعر به الا من استطاع ان يستند بذكريات الماضى وبخيالات المستقبل ولا يشاركني به الا من عاهد الله على القيام بواجبه المقدس نحو اجداده وضحى كل منفعة ذاتية فى سبيل مستقبل البلاد .

انا لااعتقد — وانا العربى — الا بحزب واحـــد وسمه ماشئت ايها القارئ .

والحزب الذى اقصده يحتوى على الجناح الايمن المتطرف والجناح الايمن والمركز والجناح الايسر والجناح الايسر المتطرف فيكون حزبا كبيرا يضم شتى الاراء ومختلف القوى .

واني وانا العربى لااعتقد بزعامة غير التي عودني عليهـــا عنصري العربي السامي زعامة (فيصل) فتكون حياتنا السياسية وتاريخنا الاممي (فيصل — انكلترا . فيصل — فرانسة . فيصل — تركية . فيصل — ايران) وما عدا ذلك فانني اراه ضربا من المحال او جريا وراء الخيال او سعيا وراء من يحب أن يرى لهيب روما وعينه تذرف الدموع .

ان وضع العراق الجغرافى وتاريخه السياسى القديم لا يسمح ابدا لهذه الاوضاع التي اسست على نظريات غير ملائمة لمزاج الشعب ونفسيته الموروثة ابدا كما انها غير صالحة له . ولو نظرنا الى المسائل بعين سداها الانصاف ولحمتها المصلحة العامة والخدمة الصادقة لتبين لنا ان مـا وضع للعراق من الانظمة وغير ذلك يجب ان يبقى فى مخيلة واضعيه ويخزن فى دماغ مفكريه لا اقل ولا اكثر . وان الامم لا تمشى ابداً حسب رأى الفلاسفة والمفـكرين — خصوصا العراق فى عهـده الراهن — بل حسب امزجتها وميولها وطباعها وما تؤمله من الحياة الدائمة .

الحقائق فى الدنيا كثيرة ولـكن الامم يجب ان تأخذ ما يفيدها من تلك الحقائق وان تنبذ ما لا يلائم طبائعها ونفسيتها . نعم ! ان الحقائق

كثيرة ولكننا نحتاج للحقائق التى تضيف قوة الينا وتؤهلنا للاعمال ، ويحق لنا ان نعبر الكلمة (باسقال الموروثة) وهى (حقيقة هنا ، خطأ وراء البريفية) ويقصد بذلك : (ما هو صواب فى فرانسا قد يكون خطأ فى اسبانيا) .

نعم ! اننى لست ممن يريدون الرجوع الى الوراء ولكننى ممن يحترمون التقاليد واحترام التقاليد ايها القارىء من شروط البقاء لحياة الشعوب . كما اننى ارى التقدم يجب ان يكون تدريجياً وان نسعى للتخلص من كل ما لا يلائم الزمن الذى نعيش به .

—١٦—

من الامور التى تكاد تكون معضلة منذ ثلاثة وعشرين قرنا شكل الحكومة التى بواسطتها تدار مصالح الشعوب وتحفظ حقوق افرادها وتصان حقوق جماهيرها وهى لا تزال عقدة العقد كما قال ارسطو حيث رأى ان من الضرورى التفريق بين هاتين المسألتين :

اولا : ما هو احسن شكل حكومي بالمعنى المجرد ؟

ثانيا : ما هو احسن شكل حكومي عمليا ؟

ويحق لنا ان نقف قليلا امام هذه العبارات التى ابداها (ارسطو) ونزنها بميزان البصيرة كي لا نضل السبيل . فهذه انكلترا مهبط الحكومات النيابية والتى تتخذ مثالا لوضع الدساتير التى بالغ الناس بها

فى الديموقراطية لا تزال حتى وقتنا هـذا تعالج قضية الانتخابات التى يطالب بها (حزب الاحرار) مبرهنا على فساد الوضع الواهن وعلى غمط حقوق بعض الاهلين من جراء طريقة الانتخاب المتبعة عندهم منذ سنين .

وهـذه المانيا التى بلغ بها مستوى التعليم لدرجة راقية جداً لا تزال تتمخض فى حياتها الديموقراطية . فقد اذاع رئيس وزارة بروسيا خطابا لاسلـكيا قال فيه : يجب ان نصرح بملء الوضوح ان الديموقراطية فى المانيا لم تخفق . اما الاخفاق فقـد حصل من جانب قسم من الشعب الالماني لم يرتفع الى مستوى المسؤولية الجديدة التى وضعت على عاتقه فاساء استعمال الديموقراطية . . . . .

فاذا كان قسم من الشعب الالماني لا يزال فى حالة لم يصل بها الى مستوى المسؤولية الديموقراطية فما احرانا نحن معشر العراقيين انها حقيقة محسوسة تلمس باليد يجب ان لا نقر بها آسفين بل يجب علينا ان نعترف بها وان نصب الوضع الراهن من حكمنا النيابي بقالب يلائم نفسية الشعب الموروثة وان نفرغه بحالة تقدر معدتنا السياسية على هضمه من دون ان يصيبها بسبب الغذاء اذى وان نضع امام اعيننا وضعنا الجغرافى وتاريخنا القديم السياسى اذ الحاضر ابن الماضى والمستقبل يبنى على الحاضر وان نعترف بان ليس فى مقدور اى احد ان يكوننا — نفسية واخلاقا واجتماعا — كيفما يراه ويتصوره بل للنفسية والاخلاق والعادات والطبائع والوضع الجغرافى من التأثير فى حياتنا السياسية ما لا تستطيع اى قوة على تغيير ذلك .

ولو كان سن الدستور ونشره كافياً لان نكون اهلا للحياة النيابية بثوبها الفضفاض لكنا اكتفينا بطبع ملايين من نسخه وانشرناه فى المدن والقرى وفى كل بقعة يسكنها عراقى ولكن ذلك ضرب من المحال ودون الوصول الى ما ابتغاه المشرع من الفائدة — ان اعتقد بذلك — خرط القتاد .

انرجع الى الفقرة الثانية من كلمات (ارسطو) حيث تقول : ما هو احسن شكل حكومي عملياً ؟

اننا لانستطيع ان نقول كلمتنا الاخيرة ما لم ننبه القارئ الى ماذكرناه سابقاً عن نفسية الشعب العراقى والى ان نلفت نظره الى الوضع الجغرافى والسياسى — مع قطع النظر الى صلاتنا مع الانكليز — نجد بلادنا مهددة من كل جوانبها فمن الشرق (ايران) وتاريخها المعلوم ومن الشمال (تركيا) ومن الغرب البلاد العربية وما فيها من نفوذ الاجانب ومن الجنوب (الخليج) وما فيه من النزاع السياسى للسيادة عليه بين الانكليز وايران . ومع هذا كله فلا يجب ان نغفل النزاع السياسى بين الدولتين انكلترة وفرانسا على بسط نفوذهما على البلدان الاسلامية والشرقية منذ عدة سنين كما اننا يجب ان نضع نصب اعيننا سياسة (روسيا الاباحية) فى الوقت الحاضر و (روسية القيصرية) فى الزمن السالف .

كما اننا يجب علينا ان لا ننسى تاريخ العراق (زمن الاتراك) وما خلفه لنا وتاريخه (زمن الفرس) وما اثر فينا وتاريخه الطبيعي من

حيث هجرة الشعوب السامية وغير السامية اليه وصورة الحكومات القديمة التى عاشت فيه والتى كانت مثالا مشت على منواله (حكومة روما) .

وبعد هذا وذاك نحكم (ارسطو) نفسه حيث آثر حكومة الملك فى الشعوب التى اعتادت الاستعباد ، وبشرط ان يكون اساس هذه الحكومة هو الرعاية الابوية التى ينبغى ان يلتزمها الملك فى حق رعاياه .

اننا بعد وضعنا هذه الحقائق الداخلية والخارجية امام اعيننا التى تنظر الى المصلحة العامة بعين الوطنية التى قدمناها لك ايها القارىء ثم نضيف الى ذلك وضع حياتنا النيابية الراهنة وما تجره علينا من الانشقاق والتبلبل والخروج على آداب الحياة السياسية نرى انه من الحكمة والصواب ان ننظر الى حالتنا السياسية وان نكيفها بصورة اسلم عاقبة وانجى خطراً من بقائها كما هى عليه الان .

تشكلت دولتنا الفتية على اساس التضخم فى الدوائر لامر لا يجهله ذوو البصائر الثاقبة الذين يرون الحقائق من وراء الحجب فكيف بها وهى ملموسة باليد . ووضع الدستور ايضاً على منوالها فزاد فى الطنبور نغمـــة . تضخم فى تشكيلات الدوائر ارضاء لذوى الثقافات المختلفة والنزعات المتباينة من ابناء الادوار البائدة وتضخم فى الدستور لكى يكثروا من الذين يريدون ان يعيشوا على اكتاف الامة وبذلك تكون دولتنا الفتيـــة ابداً ودوماً مترجرجة غير مستقرة ومعرضة للزوابع السياسية فينال الاجنبى منها مراده ويحصل على ما يبتغيه فى اى وقت وفى اي زمن .

البلاد تشكو من تضخم دوائرها ودستورها الذى قسم المجلس النيابي الى اعيان وعددهم عشرون ونواب وعددهم ثمانية وثمانون ولو نظرنا الى مجلس الاعيان بعين الحق لما وجدناه يمثل و يقوم بواجبه حسب ارادة الواضع الحقيقى له فى البلاد العريقة فى الديموقراطيـــة ابداً . واننا نستميح القارىء العذر فى كتابة اكثر من هذه الكلمات حول مجلس الاعيان والفائدة المتوخاة منه .

ولكننا نريد ان نأتي بشيء عن مجلس النواب وعددهم حسب الانتخاب ثمانية وثمانون بما فيهم الوزراء

وقبل ان نبين وجهة نظرنا نلفت نظر القارىء الى ما قدمناه من الاحزاب السياسية والزعماء والتبلبل الموجود فى الدوائر السياسية العراقية من اختلاف النزعات

اننا بحكم الدستور و برضائنا وقبولنا للحياة النيابية قد صار لكل حزب سياسى ان يبذل جهده حسب الاصول المتبعـــة للحصول على الا كثرية فى المجلس النيابى ولو فرضنا ان لكل مقعد من المقـــاعد النيابية البالغة ثمانية وثمانين يرى خمسة اشخاص فى انفسهم الكفاءة للترشيح — حسب الطرق المعتادة — نكون قد سببنا برضائنا خلق نزاع سياسى بين جيش كبير يبلغ عدده ٤٤٠ شخصاً ولاجل ان ينال الحزب الا كثرية فى جانبه تراه يجتهد لان ينال الاشخاص الذين يوافقونه حسب رأيه وخططه ولهذا ترى الحزب القوى — مع صرف النظر عن التعيين — يجتهد بترشيح اناس للغاية نفسها وهى الحصول على الا كثرية

وهذا امر طبيعى لا خلاف فيه .

ولكن يا ترى هل فى البلاد ٤٤٠ شخصاً لائقين لوظيفة النيابة وبالنتيجة للزارة !

لان من يدرك النيابة بأسهل الامور لا يستبعد ان يطمح فى الوزارة وقد طمح بها بعضهم فى العهد الاخير وذلك غير مستبعد ايها القارىء .

وقد شعرت فى العهد الاخير ان فى البلاد حساً نحو التقرب الى الحكم وان صفة الحاكمية فى اى دائرة من دوائرنا تقـــدم على اى مهنة كانت والاغرب انى رأيتهم يتسابقون لحيازة المنتخبيـة الثانوية ايضاً وهـذا امر طبيعى فى بلاد تـكثر فيها النزعات وتختلف فيها المدارك وتتباين فيها الثقافة وتتنوع فيها الامال .

ولا نظن انفسنا فى حاجة الى ان نلفت نظر القارىء الى ما يحدث وقت الانتخابات من الاضطراب السياسى فى العراق ولـكننـا نريد ان نذكر للقارىء ما نقرأه عن الحياة النيابية فى البلاد العريقة فى الديموقراطية كانكلترة مثلا :

قرر النائب (فلان) ان لا يرشح نفسه للنيابة فى الانتخابات المقبلة حيث عزم على الانصراف الى الحياة الحرة . فهل رأيت مثل هذا عندنا ؟

وقرر فرع حزب المحافظين فى جنوب (بادنكتن) فى اجتماع عقده هناك حسب اقتراح (السير هنرى هاريس) الذى كان نائباً عن (جنوب بادنكتن) وتأييد شخص آخر بان (هربرت و يلياءس) سوف ينـال التأييد والثقة من قبل جماعة الحزب هنـاك لان يكون نائبـاً فى المجلس

عند ما يشرع فى الانتخاب المقبل .

فهل رأيت مثل هذا عندنا ؟

اننا لقد بالغنا فى الديموقراطية واضفنا غلواً الى ما فيها من الغلو واننا وايم الحق لقد اسأنا فهم سيادة الامة فوق ما فيها من المادة المطاطية بيد ذوى الاغراض والغايات واننا وايم الحق قد خرجنا عن الطريق السوى بعدم تبصرنا وادراكنا للواجبات القومية وتضحية المنفعة العامة فى سبيل المصلحة الخاصة وتفضيلنا المنافع العاجلة على المنافع الاجلة اننا بحكم تاريخنا السياسى القديم لانرى اصلح شكل للحكومة من حكومة قوية تعتمد على السيف والنار .

واننا بحكم تاريخنا العربى القديم لانجد اصلح من (حكومة شورويه) تجرى على سنن (عمر بن الخطاب) فى استشارته للعامة والخاصة واخذه برأى الخاصة فقط .

واننا بحكم وضعنا الراهن لا نرى من المصلحة والفائدة ان نتوسع اكثر مما تتحمله طاقتنا الموروثة ووضعنا الجغرافى .

ولو نظرنا بعين الانصاف لرأينا انه قل ما قل (رجال الشورى) تحسن العمل الذى يخرج من ايديهم .

ولو امعنا النظر لما رأينا بلادنا تتحمل اكثر من مجلس واحد يجمع بين جدرانه (ثلاثين شخصاً) وضمنهم الوزارة .

ولو سبرنا الحقائق واتعظنا بالماضى والحاضر لا كتفينا بنزاع (١٥٠) شخصاً وقت الانتخاب لخروج (ثلاثين) نائباً ولو رضخنا الى المصلحة

الوطنية لما ساءنا التصريح بان ليس في بلادنا مايقره الدستور من الاشخاص ذوى الجدارة للنيابة وانه يجب علينا ان نكيف الدستور حسب الواقع لا ان نكيف انفسنا حسب الدستور لان ذلك ضرب من المحال .

—١٧—

قلنا فى مقال سابق : (لقد اسأنا فهم سيادة الامة فوقما فيها من المادة المطاطية بيد ذوى الاغراض والغايات) ولم نذكر سيادة الامة كعقيدة نعتقدها وانما ذكرناها جريا على العادة المتبعة فى الدساتير والتى لانعتقد بصحتها ابدا لانها (شئ وهمى) لاظل له فى الحقيقة .

ولسنا فى معرض التنديد والانتقاد لنظرية لا يقبلها العقل ولايؤيدها الواقع ولو لا ما يستعمله ذوو الاغراض من الاعتماد على هذه النظرية المغلوطة لطوينا عنها صفحاً ولما ذكرناها هنا ونحن فى مقام استعراض الحوادث التي مرت علينا زمن حياتنا السياسية العملية ولكننا خشية من ان يقع الاهلون فى احبولة الصيادين والقناصين رأينا ان نذكر شيئاً عنها ونحن فى كتابة (شكل الحكم)

ان عقيدتنا لا تخرج عما رآه (ارسطو) للاسباب التى تقدمت ولكن هذه النظرية التى لعبت دوراً فى الحياة العالمية والتى لا تزال شرا كا بيد من يمسخون الحقايق لتنفيذ مآربهم الذاتية . والناس تعلم والله يشهد على ما نقول بان الذين يتغنون باسم الشعب لم يفعلوا ذلك حبا فى مصلحته

وتوفيراً لسعادته ابدا وانما ليصلوا الى الحكم من طريق التحدث عنه ليس الا . اذاع هذه الفكرة (جان جاك روسو) وقت ما ارادت السلطات الدينية المسيحية ان تنفرد بالحكم دون السلطات المدنية وكانت السلطة الدينية قد زعمت انها تستمد قوتها من عندالله فقد رأت السلطات الاخر ومن يحب ان يكسب شهرة بسببها ان تخلق لسلطانها اصلا ذا مظهر جذاب واختارت لذلك ما اسمته بارادة الشعب تبريراً لموقفها .

ولو حللنا هذه النظرية لرأيناها خيالا فى وهم او وهما فى خيال نظرية (العقد الاجتماعى) والذى يدلك على ذلك ان واضعها الذى اشتهر بها قد شعر باستحالة فكرته وناقضها حتى يمكننا ان نقول قد عدل عنها او على الاقل اظهر انها فى مجموعها فكرة خيالية اساسها ما افترض من ان الانسان ما يزال على فطرته الاولى .

ولكن الفيلسوف العظيم (ارسطو) قد قال لنا عند بحثه فى نظم الحكم ان السلطة او السيادة فى الدولة لا يمكن ان تكون الا فى واحد من خمس فاما لمجموع الشعب . واما لاغنائهم . واما لافضلهم واما ان تكون لفرد متفوق بمواهبه . او لمستبد . ثم وصف الحكم فى ظل كل من هذه الفروض وعدد لها من مساوئ فابان عن خطر جهل الجماهير وكثرة تقلباتها وتحولها وظلم الاغنياء واستبداد المستبد .

ثم انتهى بان السلطة لا يصح ان تكون لواحد من هؤلاء وانما يجب ان تكون للقانون العادل اى للقانون الذى يضعه العقل وتراعى فيه مصالح الجميع على السواء .

غير اننا لا نريد ان نأخذ بالقارىء بعيداً عن اثر المنازعات الحزبية وتأثير تلك المنازعات على الفوائد التى يمكن ان تنال بواسطة الحكم النيابى وعن ضخامة الدستور الذى لا يلتئم مع طبيعة البلاد الراهنة وقد مرت على حادثتان كان اثرهما كبيراً فى نفسى فلم ار من الانصاف ان نمر عليهما من دون ان نشير اليهما لاننا نكون بذلك قدخنا الله والضمير.

قلنا فيما سبق ان ليس للحزبية عندنا قوانين وعادات ومبادىء تمشى عليها ابداً واننا إن اسمينا (الكتلات السياسية الموقتة) بالحزبية نكون قد اعتدينا على الحق ودسنا الانصاف المقدس كما اننا لا نعتقد بصحة الاحزاب السياسية لكوننا رضينا بالحياة النيابية ابداً . نعم ان فى انكلتره ثلاثة احزاب تتكافح ولكل من تلك الاحزاب خطة تمشى عليه فمثلا تجد حزبين منهما يقران على حرية التجارة والثالث يقر على خطة الحماية وهكذا تجد البلاد منشطرة نحو اتجاه وقدرة زعماء الاحزاب فهل تجد مثل هذا فى بلادنا ؟

إن من حركنى بتذكيره اياى للحوادث الماضية بحيث دخلت الحياة السياسية من حيث لا ادرى قد انخزع فجأة وقت الانتخاب وكنت اجهل السبب الذى دعاه الى ذلك بوقته فقلت فى نفسى ربما ان حادثة حدثت الجأته الى الاستقالة فى سبيل المصلحة الوطنيـــة ولكننى لما حققت عنها رأيتها لاجل امر تافه سببه الدستور من تقريره لثمانية وثمانين نائباً ولان احد من اراده ليكون نائباً قـــد اخفق فى حصوله على مساعدة من الجهـة الاخرى . ففكرت فى الامر جلياً فلم

اجد لذلك مبرراً وقابت الامر على وجهه فلم اجد لى ناحية تبرر هذه الحركة ولم اكتم ما دار فى خلدى عنـه فقلت له : ما الذى حداك الى عملك هذا ونحن فى حرب سياسية نعتقد اننا على صواب وانى ما كنت اعتقد انك تقدم على عمل كهذا الامر اراه تافهاً كما انى كنت اؤمل انك تقدم استقالتك فى سبيل مصلحة وطنية ان اقتضى ذلك ولكننى لا اكتم القارىء مبلغ تأثرى بل اننى اسفت جداً على ما وقعت فيـــه ولـكن الروح الحزبية غلبتنى وغلبتنى جداً فتبا لها من روح ! حتى اننى اعقبت العتاب معه بكلمات التشجيع والثبات وذكرته بوجوب المتابعة على النضال السياسى لانها اصبحت بصورة حادة جداً وليس لنا ان نتجنبها كي لا يقال انهم جبنوا .

للقارىء ان يحكم على ما شاء فقد اكون مخطئا وقد اكون مصيبا وقـد اكـون ارشدت وقد اكون من الغاوين او الضالين فقـــد جرى ذلك وصبرت على ماذكرت مندفعا بروح الحزبية التي لها سيئات كثيرة والتى كما يقول عنها (بالفور) ما يأتى : (قد رتب وضعنا السياسى لاحتمال ان نتخاصم) وقد تخاصمنا وقـد تنازعنا كما انى لا ابرىء نفسى من الشطط لسبب اجهله اللهم الا روح التحزب الممقوت .

وقد بلغ النزاع السياسى حداً قد خرجنا على واجباتنا الوطنية المقدسة وقد اهملنا ما تقتضيه وتحتمه المصالح الوطنية من اداء الوظائف المترتبة علينا افرادا وجماعات

اتاني (زعيم المعارضة) على عادته واخبرني بان (صاحب الجلالة)

قد طلب منه السفر الى مصر لجلب (طلعت حرب) المالى الشهير الى بغداد لاصلاح حالتنا الاقتصادية واحداث فرع لبنك مصر فى بغداد لتقوية الرابطة الاقتصادية بين القطرين لان عراقنا منتج للحبوب ومصر مستنفدة لها ولكن روح التحزب قد ادى بالزعيم على البقاء قائلا لى كيف يذهب والانتخاب على الابواب وكيف يترك هذه المعمعة الانتخابية ويذهب بعيدا عن العاصمة فى سبيل (طلعت حرب) و يتخذ خصومه ذلك السفر وسيلة لرميه بالخيبة والفشل بدل النضال والانتصار

نعم ان (زعيم المعارضة) قد ترك احدى الواجبات الوطنية اذ ذاك ولكننا ماذا عسانا ان نقول فى صاحبنا الذى قدم استقالته لاجل امر تافه كما انى ماذا عسانى ان اقول عن صبرى وتجرعى لمرارة هكذا احوال

قاتل الله الحزبية فانها كثيرا ما تدفع المنتمين اليها الى العناد وكثيراً ما تلقيهم فى غياهب الجب من حيث لايدركون

— ١٨ —

ذكرنا لك فيما سلف نبذة عن حالة الاحزاب السياسية الانكليزية واوردنا لك نموذجا عن عقيدة زعماء الاحزاب ثمة فى المسائل الوطنية وانها فوق كل شىء لا دخل للحزبية بها وان رؤساء الاحزاب هنالك

لا يستغلون ابداً شيئاً من الاضطرابات التى تجابه رئيس حكومة مستندة على حزبها بل بالعكس تجد بقية الاحزاب هناك تسانده وتساعده اعتقاداً منهم ان الوطن فوق كل شيء .

وهذه طبعاً يجب ان تؤخذ كمثـــال يعمل به من قبل الامم التى تجاريها فى مضمار الحياة النيابية وكدرس لمن يعرض نفسه لزعامة حزب فى بلادنا وانها مع الاسف لمجهولة عندنا واننا بمزيد الاسف نقر ونعترف بأن رؤساء الاحزاب عندنا — حسب تسميتهم لانفسهم — لا يعرفون بان على الاحزاب السياسية سواء كانت فى منصة الحكم او فى خارجه مسئولية كبيرة وانها مشتركة فى الحكم على السواء بل ان على رئيس الحزب البعيد عن الحكم وظائف لا تقل عن رئيس الحزب الذى بيده الحكم وهذه حقيقة ثابتة عند الانكليز حتى قرروا فيما بينهم اعطاء راتب لزعماء الاحزاب المعارضة لانصرافهم الى رؤية الاشغال العامة وتولية وجوههم شطر المسائل السياسية التى تعود الى البلاد حتى ان زعيم الحزب الحكومي اذا ما جابه ارتباكا فى المسائل الهامة لا يلبث فى الامر مـــا لم يستشر الزعماء المعارضين لاخذ رأيهم فى تلك المسائل وهذه الحقائق نراها كل يوم فى الجرائد الانكليزية ويجب ان تكون دروسا يأخذ بها الزعـــاء عندنا ولكننا مع الاسف لا نستطيع ان نكتم حقيقة واقعيــة وهى ان الاحزاب عندنا اذا جردناها من كلمة (الحزب) او اذا قارناها بمدلول معنى كلمة (الحزب) عند الامم الديموقراطية لا نجد لها اسماً حقيقياً يطابق اغراض القائمين بها الا كلمة (عصابة) لان للاحزاب السياسية

(مبادئ) ووراءها (روح) تدفعها الى المصلحة العامة سواء كانت في الحكم او خارجه واذا خرجت عن تلك وانصرفت الى تحطيم الاشخاص كما يجري عادة عند الشيوخ حينما تقوم قبيلة على اخرى فتنظم القبيلة المغلوبة الى القبيلة الغالبة فهناك يطلق عليها بحق (عصابة) وهذه كلمة يقرها العلم والواقع وان لم يذعن اليها الزعماء انفسهم على اننا لا نخشى التصريح بذلك والاسف ملء القلب بل الذي يهمنا ان يعرف الناس حقيقة حياتنا السياسية التي جعلتنا بحالة مترجرجة ونخشى على هذا البناء ان ينهار .

خذ مثلا وضعيـــة (الحزب الوطني) حينما اقر (المقاطعة) للانتخابات التي نستقبل وايم الحق ان نكتب كيفية الاقرار ومهما يكن من الامر فقد قرر المقاطعة وقاوم حسب اعتقاده وان كانت المقاطعة كما وصفناها فيما سلف ولكننا لا نكتم حركته المنافية المصلحة الوطنية ولمن يعتقد ان رائده الاستقـــلال بذهابهم الى السفارات والقنصليات محتجين على عمل الحكومة الذي يعد عملا مشروعا عند من قدم اليهم الاحتجاج فلنتحاكم معهم امام محكمة الوجـــدان ونسائلهم الله والمصلحة العامة قائلين هل من مصلحة العرب الالتجاء الى فرانسا وايران وتركيا وغيرهم من البلدان حول قضية داخلية ؟....

وما علاقة هذه الدول في مسائلنا الداخلية ؟...

واذا كانت نواياكم الداخلية قد ظهرت بمظهرها هذا فاين الاستقلال الذي تنشدونه ؟

حقا ان ذلك خروج على الاداب السياسية المتبعة فى البلدان ولـكن ما العمل؟ كما ان فيه شيئا من الاماتة للروح الوطنية التى تقدس كل شىء داخلى وكل عمل يمتد الى الخارج فيما اذا كانت الروح مشبعة بآمال عظيمة .

وقد بلغ التحزب الشخصى بالزعماء لدرجة لا تكاد تجد لها مبرراً فى الحياة السياسية لدى الدول الاخرى . بل وصل الحقد بالزعماء الى ان فقدوا رشدهم واضاعوا السبل القويمة وضلوا المحجات الوضاحة فعملوا ما عملوا من ضروب الطيش وانواع النزق كما يفعله الصبيان بل الاطفال واننا لا نـكتم استياءنا الشديد من عمل (زعيم المعـارضة) فى ارساله التلغراف الى عصبة الامم وفيها فرانسا ذات المطامع الاقتصادية فى العراق فضلا عن اعمالهـا فى سوريا التى يطلب كل عربي غيور فى انتشالها من ورطتها وضمها الى (امبراطورية العرب المقبلة) ان شاء الله .

قال لى الشخص الذى يدير سياسة الحزب الوطنى فى الجريدة الذى لا يثق بزعيم المعارضة والذى لا يتكلم معه لعقيـدة فيه انه كان لا يستحسن وضع كلمة فى النص الانكليزى لما ارسله اليه (زعيم المعارضـة بواسطـة مدير جريدة (الاستقلال) طالباً منه الموافقة حتى يوافق (عميد الحزب الوطنى) واضاف الى ذلك كلمة : ما يعنينى ذلك ! فقد وافقت وارسل التلغراف .

سألتك بالله ايها العراقى ! قف قليلا وتفكر ملياً فى هذه الاعمال وقارن بينها وبين ما قدمنا لك من الامثلة المتبعة لدى الانكليز فهل تجد فى اعمالنا شيئاً يدل على تروى الزعماء فى اعمالهم ؟

ام نجد الاعمال التى بدت منهم فى ايامنا العصيبة انما عملت للنكاية بالاشخاص ليس الا !

حوادث تمزق القلب وتدمي الاكباد نذكرها لك ايها القارئ والقلب موجوع من ذكرى وقائع كنا فى غنى عنها لو ان لنا تربية سياسية وعقيدة خالصة فى سبيل الله والوطن .

نعم اننا لا نرمي احداً فى الخيانة ولا نصف الاعمال هذه بصفات تجعل القائمين بها مارقين كلا ! . . .

ولكننا نبين للملأ ان فى تربيتنا السياسية نقصاً كبيراً يجب اصلاحه وان فى حياتنا الاجتماعية مرضاً يجب تداويه .

وان فى افكارنا طيشاً يجب علينا ان نربي تلك الافكار على حياة جديدة .

وان فى نفوسنا مطامع يجب ان نحولها لصالح الوطن .

وان فى آمالنا التى تدفعنا الى العمل شذوذاً يجب ان نريض تلك الامال لنجعلها فى صالح الوطن ولاجله .

نعم اننا نكتب ذلك ونطلب ذلك ونشاهد كل ذلك ولكننا غير آيسين وان لنا فى المستقبل لاملا كبيراً لا يفنى حتى فى الممات . فرض الله علينا صلوة خمسة اوقات فى اليوم وتعودنا حسب السنة ان نسبح الله مائة مرة فنسبح للوطن يومياً ثلاثين مرة وقت الصباح حينما نستيقظ عشراً وعند الظهر عشراً وعند المساء عشراً وليكن تسبيحنا هذه الكلمات (يجب علي ان اخدم وطني) و كفى .

-١٩-

أننا لا نريد ان نقتضب الكلام اقتضابا من دون اشباع خيال واجب قومي دفعنا الى التفكير به منذ زمن بعيد لانني لست كسياسي عصرنا هذا واعني بهم سياسيي العراق فقط الذين لا ينظرون الى الدولة الا كنظرهم لانفسهم فكانهم هم الدولة وكانهم هم الشعب وكانهم هم الكل فى الكل حتى اذا ما قضى على آمالهم الشخصية واقصوا عن الكراسي اخذوا يستعملون الوسائط اللازمة للعودة ولكن لا لاجل الامة بل على اكتاف الامة . فتراهم اذا ابعدوا عن منصة الحكم يلهجون بكلمة الدستور وسيادة الامة والحكم للجمهور وغير ذلك من الكلمات الجذابة الخلابة ولكنهم لما يعودون الى الكراسي يتلون - آية لويس - (ليكن بعدي الطوفان) . ولست مغالياً فيما اقول ولا متبجحاً فيما ادعي والبرهان يكاد يكون ملموساً باليد وان شككت ايها القارئ فانظر الى اعتنائهم بالمعارف فقد جعلوها بالدرجة الثانية - ان رعوها - من بين الامور التي تستجلب رعايتهم وتلفت نظرهم والا فكيف تكون حياة الامة مستمرة ما لم يعتن بابنائها او فكيف يرجى لنا الخير فى المستقبل ما لم ننظر الى اكبادنا التي تمشي على الارض او فكيف نؤمل دوام الحياة ما لم نعتن بالدافع للغريزة الجنسية والتي استجلبت انظار اجدادنا للاعتناء بها حيث يقولون : (لا تقصروا اولادكم على اخلاقكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) .

حقا انني لا اجد للوزارات المتعاقبة تجاه اهمالها هذا الواجب

الحيوى عذراً ابداً بل انهم ازاء عملهم هذا قد تجردوا من اسمى عاطفة بشرية بل انهم قد غلبوا امام العجماوات التى ترأف بالطفل وتعتنى بتدريبه وتلقنه الاعتماد على النفس وتعوده على احتمال المكاره حتى يقوم بأوده ولكننا مع الاسف لا نجد ذلك عندنا . قل لى بالله عليك اين ما كنا نعرفه فينا من (ضبط النفس) ؟

واين ما تعودنا عليه من (الاعتماد على انفسنا) ؟

واين ما كنا جبلنا عليه من (احترام الغير) ؟

انى لا اجد ذلك فى ناشئتنا — ويا للاسف — بل نجد فيهم خلاف ما يتطلبه الواجب الوطنى وخلاف ما تقتضيه الحياة القومية .

اصبحت الامور فوضى عندنا فى كل ناحية من نواحى حياتنا .

فوضى فى العائلة فاين نظام العائلات التى نعرفها فى ايامنا الماضية .

وهل تستطيع امة ان تنال مكانها فى التاريخ مالم يرتكز بنيانها على اساس العائلة ؟

فوضى فى المدارس فاين الثقافة القومية واين التربية الصحيحة واين التعليم المنتج ؟

فوضى فى وسطنا الاجتماعى حتى لم يبق رادع يزجر الملتوى الى الرجوع الى الحق وينبه الزايغ الى العدول نحو محجة الصواب وبالتالى قد مات ما يسمونه (الوجدان الاجتماعى) .

دبر الاستعماريون خطة قتالة فى معارفنا ووضعوا برنامجاً غير ملائم لادمغة الطلبة فكان واسعاً فى جهة وضئيلا فى جهة اخرى تراه فى دروس

الطبيعيات والرياضيات زائداً على الحاجة فاندفع الطلبة بحكم الضرورة الى الاستظهار وتنمية الحافظة بدل العناية بالفهم والتفكير وطبعاً ينتج من ذلك ان الطلبة لايحصلون الا على معلومات عرضية لا تدوم الا وقتاً محدوداً ولهـــذا يعاب التلميذ العراقى فى كلية بيروت الامريكية ولو حللنا المسألة — كما سنبرهن عليه — لرأينا ذلك امراً مدبراً من قبل المستعمرين ليس الا ! .

لنعد الى الشق الثانى وهو ماكان الاعتناء به قليلا وهو دروس (التاريخ والجغرافية) . طبعا لانه لايوافقهم ان تكون (ملكة المشاهدة والتفكير) نامية فى ناشئتنا ولئلا تكون معرفتهم صحيحة فى احوال بلادنا — الماضية — التى نريد ان نبنى كما بنى الاوائل .

لنرجع الي شئ أهم والاهم جدا واعنى به (الرياضة البدنية) التى بواسطتها يتم تحسين الصحة وتعزز مبادئ التعاون ويتمركز حب النظام ويعرف المرء قدر الانصاف وتقوى عنده ملكة الشمم ومواجهة الخطار وكل فضيلة من الفضائل الروحية .

ليس فى مدارسنا من الحسنات شئ بل انها عملت مطبخا لاماتة ما فينا من الذكاء وقتل ماعندنا من الشمم حتى انهم لايضعون فاصلة بين الدرسين — كما فى العهد التركى — ليستريح الدماغ من التعب بل هم يقتلون الدماغ باسم التعليم . ويقتلون الذكاء باسم المعارف .

والذى زاد الطين بلة وارى علينا الطرق وصدنا عن السبيل السوى ما يرتكبه الزعماء من الاغلاط الكبيرة بالتجائهم الى الطلبة الصبيان

واغوائهم باسم الشباب لى يصعد على اكتافهم سياسيا باسم الوطنية .

ولو دققنا حالة الفتيان ايام التلمذة لرأينا نفوسهم تجيش فى رغبة تعجيل السير ليصلوا الى مراتب غير التى هم عليها ومن طبيعة الفتى انه يقلد الكبار وبهذا الدافع تراه يعمد الى التدخين تشبها بمن هو اكبر منه مع ما فيه من الاضرار وما يصيبه من الدوار فكيف به وهو يشاهد كل يوم من الادوار السياسية المتقلبة كلعبة الاطفال وطبعا فانه يتمنى ان لو يكون احد المبرزين على مرسح السياسة وبهذا الدافع تراه يزج بنفسه فى مهام لايحسنها ولهذا تراه يدفع بنفسه الى الظهور من اقرب الطرق واسهلها وهو فى سن تقرره الحضارة الحديثة بانه سن الاستعداد والتاهب وصقل القوى واعدادها لما يعقبها من العمل والكفاح فى حلبة الحيـــاة .

نعم اننا لانرغب بان تموت فى نفوس ناشئتنا (الرغبة الى التقدم) ولكن بشرط يصحب ذلك ماكنا نعهده بنا من (ضبط النفس) كي لا يزل شباننا عن الطريق المستقيم .

كما اننـا لانرغب بان تكون ناشئتنا فاترة القوى واهنة العزم خائرة الاعصاب ضعيفة الارادة كلا ثم كلا !

ولكننا بالعكس نريد ان نربى هذه الملكات ليوم يتفرغ به شبابنا الى حياته العملية بعد الدرس .

ولكن انى لنا هذا افى المدرسة ام فى خارجها ؟ ندع القارىء يحكم فيها حكمه !

— ٢٠ —

وجهنا اللوم فى مقالنا السابق على وزارة المعارف فى الخطط التى اتخذتها لتقتل ذكاء العراقى فى المداوس واوعدنا القارىء بالبرهان على ذكاء العراقى الفطرى ولا نريد ان نذكر الادعاء المجرد من الاثبات كى لا يقال ان ذلك بدافع الحب لبنى قومه ولكن مانشرته جريدة الاوقات العراقية بتاريخ ٢٠ مايس لسنة ١٩٣٠ عن نفسية الطلبة العراقيين وعقليتهم وميولهم لخبير اميركى درس ذلك بنفسه حيث قال :

لم اشاهد قط فى بلاد غير العراق تفاوتا كبيرا بين الطلبة فى ذكائهم كالذى اشاهده فى الطلبة العراقيين . فلو اجرينا فحصا للذكاء لمعرفة مقدرة العقل لوجدنا ذكاء الطالب العربي والطالب اليهودى اقوى من ذكاء الطالب الكردى اوالايرانى .

والمقدرة العقلية التى تبدو من ابن البادية بعد دخوله المدرسة وبعد ان يالف محيطه الجديد تدهش العقل وسعيه واجتهاده يفوقان سعى واجتهاد ابن المدن والحضارة (وقد يستثنى اليهود من هذا الحكم) ففطنته ومقدرته على العمل لاتقلان عن فطنة ومقدرة طلبة المدارس الثانوية الاوربيين والامريكيين

ثم يقول : يصعب علينا ان نصف العراقى اوصافا تنطبق على العموم فلو تمكنا من ان نختار مثالا يمثل قياس الطلبة العراقيين لوجدنا اقل اجتهادا ومقدرة من الطالب اللبنانى واكثر فضولا ورغبة فى الاستقصاء والبحث منه .

ولا شك ان الفضول قد يكون احيانا فى غير محله لا ان الرغبة فى

الاستقصاء والبحث تستحق كل ثناء وتشجيع .

ثم يقول : ان من يدقق النظر فى هؤلاء يرى ان هنالك تحت هذا الغشاء الخارجى مادة جوهرية يتمكن المعلم المقتدر من كشف الغطاء عنها .

يتبين لك ايها القارىء من تقدير هذا الخبير ان العربى ذكي ويمكننا ان نقول ان الذكاء هذا هو ارقى بالطبع ولكن اين المعلمون الذين يحسنون التربية والتعليم لتنمية وتمرين وحسن استعمال هذا الذكاء والذى يدلنا على ان فيهم قابلية للنهوض السريع هو رغبتهم فى الاستقصاء والبحث ولكن اين المشجع لهذه الرغبة التى تعد بجدارة من احسن الوسائل لاخذ محلنا اللايق بين الامم

ولدينا شاهد اخر على مقدرة الشاب العراقى الفطرية لان يكون يوما ما يمثل دور الشاب الالمانى فى عهد فردريك الاول لما احسن المعلمون تربيته وانموا فيه قوة الارادة وصلابة العزيمة وحسن التدبير والتبصر فى المغامرة .

فقد قال (والترهارس) مندوب جريدة (التيمس اللندنية) الذى زار العراق حديثاً لمحرر جريدة (الاوقات البغدادية) ما يأتى :

(ان مستقبل البلاد يجب ان يتوقف على حكمة وتصرف العراقيين انفسهم الذين يظهر انهم يميلون الى الاعتقاد ان الذكاء اكبر قيمة واشد فاعلية من الجهود العنيفة والاختبارات الدقيقة فى تكوين امة مستقلة . انى قد كونت فى نفسى رأياً عالياً عن ذكاء الشباب العراقى . هذا واننى شديد الاعجاب بصورة خاصة لهذا الشباب الناشيء لاحترامهم

انفسهم والعناية التي يكرسونها لمظهرهم الخارجي وطرز البستهم .

اننى لا اذكر اية بلاد اتجهت فيها كافة السكان نحو التقدم والرقى اكثر من العراق . واذا انت زدت على هذا نشاطهم القوى وطموحهم الوثاب تمثلت لك كفاءة شعب نشيط سيشق طريقاً واسعة فى ميدان النجاح والتمدن .

لانريد ان نعلق شيئاً على ما ذكره المستر (والترهارس) عن ذكاء الشباب العراقى واملهِ فيه لاننا نؤمل من الشباب اكثر مما يؤمله مخابر (التيمس اللندنية) ولكننا نحكم القارىء بين ما يذكره الغريب عنا وبين ما تفعله وزارة المعارف فى برنامجها لتنمية ذكاء هذا الشباب الوثاب وتعليمه وتدريبه . بيد اننا ويهمنا الامر اكثر مما تهتم به وزارة المعارف لاننا ننظر الى المستقبل كنظرنا الى ماضينا البعيد المجيد نود ان نذكر الشباب بما القاه الاستاذ ماسينيون مؤخراً فى بغداد كنصيحة للشباب قال فى محاضرته التى وجهها الى البعثات العلمية التى ترسل الى اوربا ان البعثات العلمية التى تؤم اوربا من مختلف الاقطار العربية تبهرها الاختراعات الحديثة ومظاهر المدنية العظيمة فيعيش شبابها بين مظاهر هذه العظمة وسحرها الاخاذ فتستهويهم وتأخذ بالبابهم ونفوسهم فينشأ فى ارواحهم بعض الاشمئزاز من تأخرهم وكبوتهم فماذا يجب ان يكون موقفهم فى مثل هذه الحالة ؟ ان هؤلاء الشباب يجب ان يكيفوا انفسهم حسب المحيط الذى يعيشون فيه ويجب ان لا يستنكفوا من البيئة التى اصبحت منحطة فى نظرهم ويقبعوا فى عقر دورهم ينظرون الى الحالة مكتوفى الايدى يائسين . انهم يجب ان يحيوا فى الحاضر وفى الحاضر

فقط وينظروا الى المستقبل كأنه فى متناول يدهم فيعملوا درجة درجة الى النهوض بامتهم والصعود بها الى مصاف الامم الراقية . ان العجلة لا تجدى نفعا واليأس من المستقبل قتال . فليعملوا فى الحاضر ولكن عن ثقة وايمان وليصعدوا بالامـــة رويداً رويداً فيبنوا اساسا متينا يزاد البناء عليه سنة بعد سنة الى ان يتم والى ان يجهز .

(ان اليابان هى الامة الشرقية الوحيدة التى نظرت الى هـذا الامر بعين الاعتبار وكانت قبل مدة تتخوف من الغرب ومن مدنيـة الغرب وتستهول الاخذ بهذه المدنية والسير على غرارها ولكنها اخيراً عمدت الى ارسالها مثل هذه البعثات فعاد شبابها وهم مثقفون بثقافة الغرب فطبقوها بدورهم على بلادهم وهذه اليابان اليوم تضاهى اكبر الامم الغربية حضارة وتمدناً . هكذا يجب ان يفعل العرب فتعود هذه البعثات وتعمل فى المحيط الذى خلقت لاسعاده وتنشى كما فعلت اليابان دارا (للتاقيح العقلى) كتلقيح التمر فى العراق وبذلك تلقح الناشئة فى مختلف الاقطار العربية بالثقافة التى تلائم المحيط والبيئة ونوع المعيشة والحياة وان يكون لهذه الدار برنامج منظم ووراءه روح محسوس ناشط وثاب يعمل على تلقيح العقول وتمثيل الثقافة اللازمة فيها . روح الفة واخاء غير بخيلة . روح تضحية تقوم على اساس اذابة النفس الخاصة فى المجموع العام وترك المصلحة الشخصية للمصلحة العامة فتتحسن الحالة الاجتماعية فى وطن جديد ناشئ كالعراق يتطور رويدا فى دور التكوين الصعب الشاق .

انتهت الرسالة الاولى

جدول الخطأ والصواب

ص	سطر	الخطأ	الصواب
٢	٣	يستفزه	تستفزه
٦	٢٠	المـهم	المهم
٧	٥	فاذا كان الملاج	فاذا كان كذلك
٨	٢	على	عن
٨	٣	عن	على
٨	١٤	لذكره	لذكراه
٩	١١	وسى	وعسى
٩	١٦	الافتراح	الاقتراح
١٠	٨	نجاه	تجاه
١٤	١٧	دليل	ودليل
١٩	١٨	التثم	التئام
٢١	١٨	الخلص	الخالص
٢٤	١٢	تفسحا	تفسخا
٢٥	١١	القوية	القومية
٢٧	٩	الذهب	المذهب
٢٨	٨	الزاكى	الزكي
٢٩	١٨	بهم	بيهم

ص	سطر	الخطأ	الصواب
٣٢	١٩	بالـكاء	بالبكاء
٣٥	٤	بعيد	بعيداً
٣٥	١٠	جلدتهم	جلدتهما
٣٨	١١	قمت	اقمت
٣٩	٧	وواجهة	ومواجهة
٥٠	١	الحكم ترى	الحكم لـكنت ترى
٥٠	١٢	نقول الى زعيم	نقول لزعيم
٥٢	٧	لان الزعماء	لان الزعيمين
٥٣	٨	اليه	له
٥٣	١٦	جهز	اجهز
٥٣	١٦	الى	على
٥٤	٧	اليه	له
٦١	٢٠	قعتى	دفعتى
٧٠	١٨	شكلة	مشكلة
٧١	١٨	بذكريات	على ذكريات
٧١	١٨	ربخيالات	و يحلم بخيالات
٧٣	٢	الـكلمة	بكلمة
٨١	٧	نظرية	تلك نظرية
٩٣	٢٠	لا ان	لان

وقد بقيت اغلاط طفيفة تركناها لفكرة القارئ

